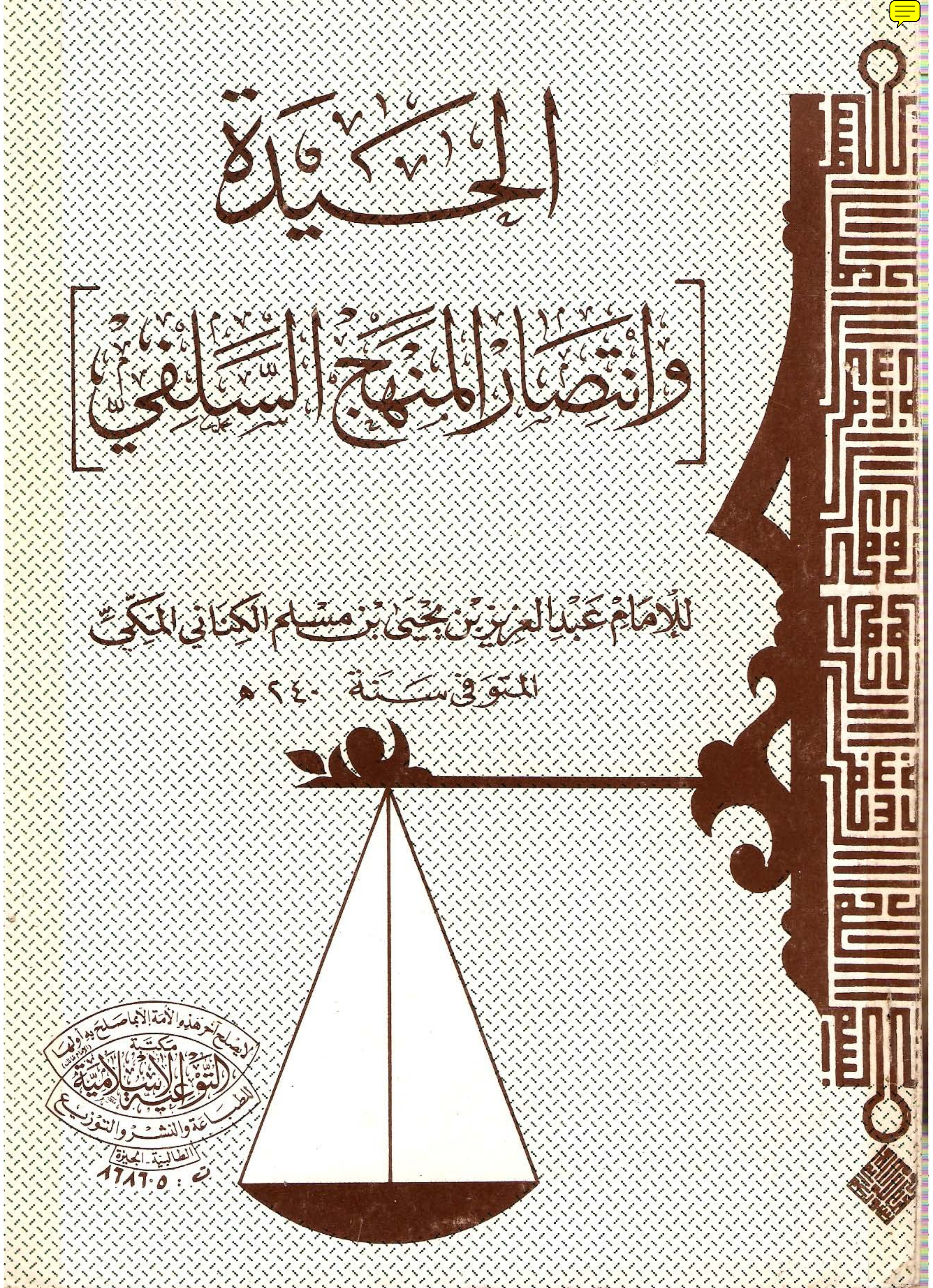
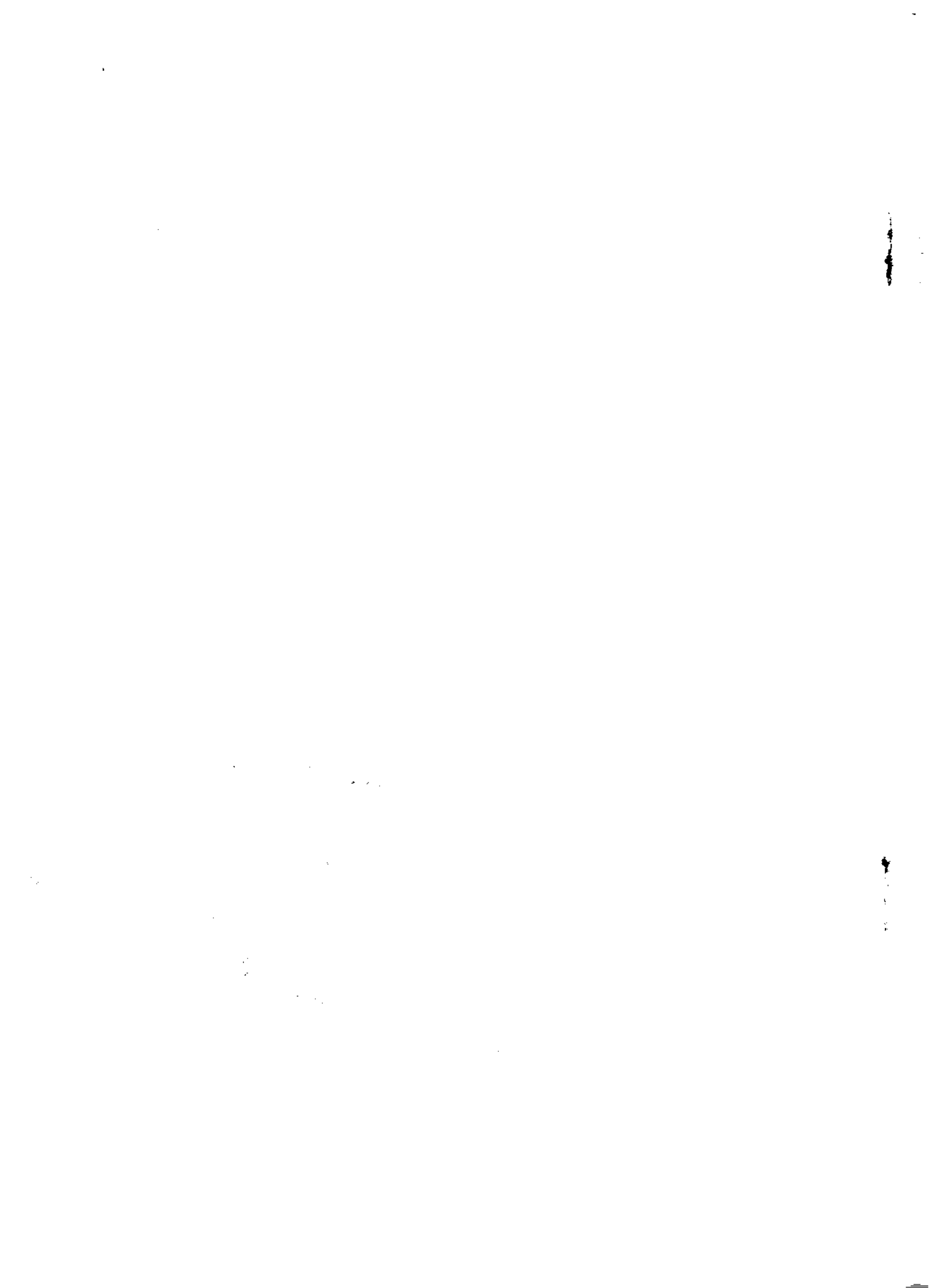

الحيدة
وانتصار المنهج السلفي
للإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني المكي
المتوفى سنة ٢٤٠ هـ
لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها
(الإمام مالك)
مكتبة التوعية الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع
الطالبية - الجيزة
ت : ٨٦٨٦٠٥



ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ج ٢ :
الحيدة والاعتذار في رد من قال بخلق القرآن.

الحيدة

[وانتصار المنهج السلفي]

للإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني المكي

المتوفى سنة ٢٤٠ هـ

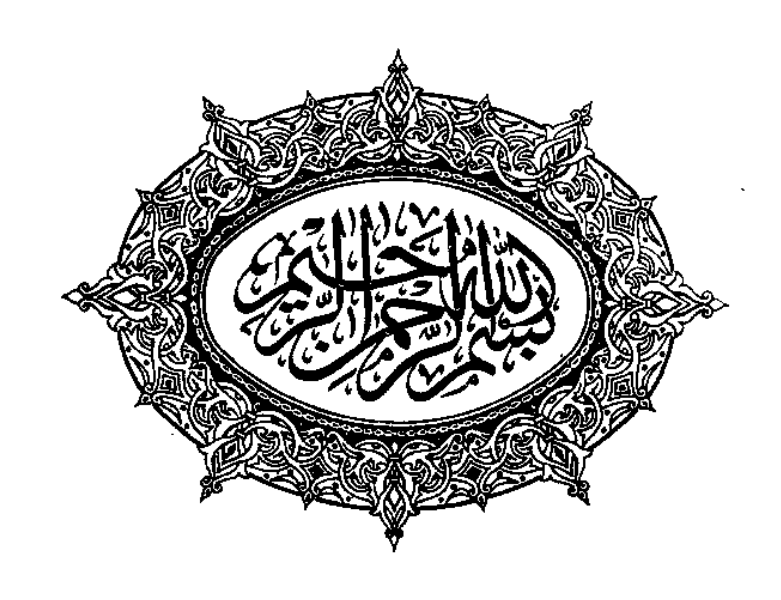
الناشر

مكتبة التوعية الإسلامية

لإحياء التراث الإسلامي

ناصية شارع محمد عبد الهادى

الجوهرة - الطالبية - جيزة



الناشر

مكتبة التوعية الإسلامية

ناصية شارع محمد عبد الهادى - الجوهرة الطالبية - جيزة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فما له من هاد .

أما بعد : فهذا « كتاب الحيدة » ننشره فى مكتبتنا «التوعية الإسلامية» .

والكتاب يحكى مناظرة ذات منهج علمى رصين ، انتهجه علماء السلف لدحض أهواء المبتدعين الخائضين فى دين الله بمؤازرة إبليس ، ومناصرة أهل الباطل ، ولكن كان الحق لهم بالمرصاد ، فخُذلوا وخُيبت آمالهم وطاحت أحلامهم ، وهذه المناظرة – وإن تكلم بعض العلماء فى وقوعها من عدمه – تمثل أنموذجاً رائعاً يحتذى به كل عالم بل كل طالب للحق يعترضه من شُبَه أهل الباطل – وما أكثرها – أن يصدع بالحق ، ويصرع الشبهات بالحجج والبينات – ولا يحول بينه وبين ذلك حائل حتى يُعلنها مدوية – انتصاراً لمنهج السلف ، وليذهب مذهب أهل الباطل أدراج الرياح .

وقد نقل شيخ الإسلام – ابن تيمية رحمه الله تعالى – من هذا الكتاب أكثره منسوبا إلى مؤلفه ، وذلك فى كتابه العظيم « درء تعارض العقل مع النقل » ونسبه أيضاً إلى مؤلفه جمع غفير من العلماء كابن النديم وابن حجر وابن السبكى وغيرهم .

وهذه الطبعة هى على طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وبآخرها ردود داحضة لشبهات حول العقيدة السلفية كتبها الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ ، وألحقها بطبعته ، وقد صححنا ما وقع فيها من أخطاء بمعرفة بعض طلاب العلم – جزاهم الله خيراً – وكذلك تم عمل فهرس لمواضيع الكتاب حتى يسهل الانتفاع به عسى أن يكون ذلك فى الدنيا والآخرة .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

وكتب

الصابر بالله بن صابر البناوى

أحمـــدك ربـي وأثنى عليـــك بما أنت أهله ، وأصلى وأسلم على خاتم رسلك وأنبيائك محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه .

وبعـد فهـذا كتـاب (الحيدة) للإمام عبد العزيز بن يحيى الكنانى يحكى منـاظـرتـه مع بشـر المريسى . فالأول يناصر كتاب الله وسنة نبيه *** ويدعو إلى التمسك بهما والأخذ بعقيدة السلف الصالح رضى الله عنهم أجمعـين ، تلك العقيـدة التى هى أعلم وأسلم وأحكم مما يسميـه بعض الناس بعقيدة الخلف .

والثـانى على النقيض يدعـو إلى تحريف كتـاب الله وسنـة رسوله *** ورفض ما دعـا إليـه السلف الصـالح ، داعياً إلى رأى جهم بن صفوان إمام الجهمية والمحرفين والمعطلين .

وشتان بين ما يدعو إليه كل منهما .

وقد قمت بنشره تحقيقاً لرغبة والدى الكريم : الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ وفقه الله لصالح العمل .

أسأل الله أن ينفـــع بهذا المـوجـز كل من قرأه طالبـاً ظهـور الحق والاستنارة به .

وهـا هو بين يدى القـارىء ، ومـا لنـا من قصـد غير نصـرة الحق وإظهاره ، والله على ما نقول وكيل .

ترجمــة المــــؤلف

(نقلا عن تاريخ مروج الذهب)

(هــو) عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكنـاني المكي الفقيـه صاحب كتـاب الحيـدة ، ويلقب بالغـول لدمامة منظره ، أخذ عن سفيان بن عيينة ، ومروان بن معاوية وعبد الله بن معاذ الصنعـاني الشـافعي ، وعن الحسن بن الفضل البجلي وأبي المعالي بن محمد القاسم ويعقوب بن إبراهيم التميمي ، قال الخطابي : قدم بغداد في أيـام المأمـون وجـرى بينـه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن ، وهو صاحب الحيـدة ، قال : وكـان من أهـل العلم والفضـل ، وله مصنفات عدة ، وكان ممن تفقه للشافعي واشتهر بصحبته .

قال الدارقطني في كتاب داود بن علي الأصبهاني الذي صنفه في فضائل الشافعي ، قال : وكان أحد أتباعه والمقتبسين عنه عبد العزيز بن يحيى المكي وقـد طالت صحبتـه للشـافعي واتبـاعـه له وخـرج معه إلى اليمن . ومن تهذيب التهذيب للذهبي ما لفظه : وقال اليافعي في تاريخه بعـد ذكـره إنه من أصحاب الشافعي ، وقال:توفي سنة أربعين ومائتين ، رضي الله عنه ورحمه الله سبحانه وتعالى ، آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكنانى :

اتصل بى وأنا بمكة ما قد أظهره (بشر بن غياث المريسى) ببغداد من القول بخلق القرآن وغيره ودعاية الناس إلى موافقته على قوله ومذهبه، وتشبيهه على أمير المؤمنين (المأمون) وعامة أوليائه وما قد وقع فى الناس من المحنة والأخذ فى الدخول فى الكفر والضلالة ورهبة الناس وتخوفهم من مناظرته، وإحجامهم عن الرد عليه بما يكسر به قوله وتدحض به حجته ويبطل به مذهبه، واستتار المؤمنين فى بيوتهم وانقطاعهم عن الصلاة فى الجماعات والجمعات، وهربهم من بلد إلى بلد خوفاً على أنفسهم وأديانهم، وكثرة موافقة الجهال والرعاع من الناس على كفره وضلالته والدخول على بدعته والانتحال بمذهبه، رغبة فى الدنيا ورهبة من العقوبة التى كان يعاقب بها من خالفه على مذهبه.

قال عبد العزيز: فأزعجنى قلقى وأسهر ليلى وأدام فكرى وأطال غمى وهمى، فخرجت من بلدى متوجهاً إلى ربى عز وجل وأسأله سلامتى وتبليغى حتى قدمت بغداد فشاهدت من غلظ الأمر وامتداده أضعاف ما كان يصل إلىّ، ففزعت إلى الله عز وجل أدعوه وأتضرع إليه راغباً وراهباً، واضعاً له خدى، باسطاً إليه يدى، أسأله إرشادى وتسديدى، وتوفيقى ومعونتى والأخذ بيدى، وأن لا يسلمنى، وأن لا

يكلنى إلى نفسى ، وأن يفتح لفهم كتابه قلبى ، وأن يطلق لشرح بيانه لسانى ، وأخلصت لله نيتى ، ووهبت له نفسى ، فعجل تبارك وتعالى إجابتى ، وثبت عزمى ، وشجع قلبى ، وفتح لفهم كتابه قلبى ، وأطلق به لسانى ، وشرح به صدرى ، فأبصرت رشدى بتوفيقه إياى ، وآنست إلى معونته ونصرته ، ولم أسكن إلى مشاورة أحد من خلق الله عز وجل فى أمرى ، وجعلت أسر أمرى وأخفى خبرى على الناس جمعاً خوفاً من أن يشيع خبرى ، ويعلم بمكانى ، فأقتل قبل أن يسمع كلامى ، فأجمع رأيى على إظهار نفسى وإشهار قولى ومذهبى على رؤوس الأشهاد ، والقول بمخالفة أهل الكفر والضلال والرد عليهم ، وذكر كفرهم وضلالتهم وأن يكون ذلك فى المسجد الجامع فى يوم الجمعة وأيقنت أنهم لا يحدثون علىّ حادثة ولا يعجلون علىّ بقتل ولا عقوبة بعد إشهارى نفسى ، والنداء بمخالفتهم على رؤوس الخلائق إلا بعد مناظرتى والاستماع منى .

وكان الناس فى ذلك الزمان فى أمر عظيم ، قد مُنع الفقهاء والمحدّثون والمذكّرون من القعود فى ذلك الجامع ببغداد وفى غيرها من سائر المواضع إلا (بشراً المريسى) و(محمد بن الجهم) ومن كان موافقاً لهما على مذهبهما . فإنهم كانوا يقعدون يعلّمون الناس الكفر والضلال ، وكل من أظهر مخالفتهم على مذهبهم أو همَّ بذلك أُحضر فسئل عن قوله فإن خالفهم وأبىٰ أن يوافقهم على قولهم قتلوه سرًا أو جهراً ، ويحملوه إلى أرض أخرى فيقتل هناك ، فكم من قتيل لا يعلم به ، وكم من مضروب قد أظهر أمره ، وكم أجابهم لما دعوه إليه ، وتابعهم على قولهم من العلماء خوفاً على أنفسهم لما عرضوه على السيف والقتل ، أجابوا جزعاً وفارقوا الحق عياناً وهم يعلمون لما حذروه من بأسهم والوقوع بهم .

قال عبـد العـزيـز: فلما كان يوم الجمعـة التى عزمت فيهـا على إظهـار أمـرى وإشهار قولى واعتقادى صليت الجمعة فى مسجد الرصافة فى الجـانب الشـرقى منها حيال القبلة والمنبر فى أول صفوف العامة، فلما سلم الإمـام من صلاة الجمعـة، وثبتُ قائـماً على رجلى ليرانى النـاس ويسمعوا كلامى ولا تخفى عليهم مقالتى، وناديت بأعلى صوتى مخاطباً لابنى وكنت قد أقمته بحيالى عند الاسطوانة الأخرى.

وقلت: يابنى ما تقول فى القرآن؟ فقال ابنى: كلام الله منزل غير مخلوق، فلما سمـع النـاس مقـالتى وكـلامى لابنى وجوابه لى هبّوا على وجـوههم خارجـين من المسجد إلا اليسير من الناس خوفاً على أنفسهم وذلـك أنهم سمعـوا ما لم يكـونـوا يسمعـونـه من قبل، وظهر لهم ما كانوا يكتمـونـه، فلم يستتم من ابنى الجـواب حتى جاء أصحـاب السلطـان فاحتملونى وابنى فأوقفـونـا بين يدى(عمرو بن مسعدة)وكان جاء ليصلى الجمعــة، فلما نظـر إلى وجهى وكـان قد سمـع كلامى ومسألتى لابنى وجواب ابنى إياى، فلم يحتج أن يسألنى عن كلامى، فقال لى: أمجنون أنت؟ قلت: لا. فقــال: فمــوسـوس أنت؟ قلت: لا. قال: فمعتـوهٌ أنت؟ قلت: لا، والحمـد لله، وإنى لصحيـح العقـل جيد الفهم ثابت المعرفة. قال: فمظلوم أنت؟ قلت: لا. فقال لأصحابه: مروا بهما سحباً إلى منزلى.

قال عبـد العـزيـز: فحُملنـا على أيدى الرّجّالة حتى أُخرجنا من المسجـد الجـامـع ثم جعـل الـرّجالة يتعادون بنا سحباً شديداً وأيدينا فى أيـديهم يمنـة ويسـرة وسائر أصحابه قدّامنا وخلفنا حتى صرنا إلى منزل (عمرو بن مسعدة)من الجانب الغربى على تلك الحالة الغليظة، فأوقفنا على بابـه حتى دخـل فأمـر بنـا فأدخلنـا عليه وهو جالس فى صحن داره

على كرسى من حديد وشواره عليه، فلما صرنا بين يديه أقبل عليَّ فقال: من أين أنت؟ فقلت: من أهل مكة. قال: وما حملك على ما صنعت بنفسك؟ قلت: طلب القربة إلى الله عز وجل ورجاء الزلفة لديه. قال: فهلا فعلت ذلك سراً من غير نداء ولا إظهار المخالفة لأمير المؤمنين ولكن أردت الشهرة والرياء والسوء ولتأخذ أموال الناس. فقلت: ما أردت إلا الوصول إلى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه لا غير ذلك. قال: أوتفعل ذلك؟ قلت: نعم. ولذلك قصدت وبلغت بنفسى ما ترى تغريرى بنفسى وسلوكى البرارى أنا وولدى رجاء تأدية حق الله فيما استودعنى من العلم والفهم فى كتابه وما أخذه عليَّ وعلى العلماء من البيان. فقال: إن كنت إنما جعلت هذا سبباً لغيره إذا وصلت إلى أمير المؤمنين فقد حل دمك لمخالفتك أمير المؤمنين. فقلت له: إن تكلمت فى شىء غير هذا وجعلت هذا ذريعة إلى غيره فدمى حلال لأمير المؤمنين.

فوثب(عمرو)قائماً على رجليه وقال: أخرجوه بين يدىّ فأُخرجت بين يديه وركب من الجانب الغربى، وأنا وابنى بين يديه، يعدى بنا على وجوهنا، وأيدينا فى أيدى الرَّجَّالة، حتى صاروا إلى دار أمير المؤمنين من الجانب الشرقى، فدخل ونحن فى الدهليز قياما على أرجلنا، فأطال عند أمير المؤمنين ثم خرج وقعد فى حجرة له وأمر بى فأدخلت عليه فقال:

أخبرت أمير المؤمنين بخبرك وما فعلت، وما سألت من الجمع بينك وبين مخالفيك للمناظرة بين يديه. وقد أمر ـ أطال الله بقاءه وأعلى أمره ـ بإجابتك إلى ما سألت وجمع المناظرين على هذه المقالة إلى مجلسه ـ أعلاه الله ـ فى يوم الإثنين الأدنى، ويحضر معهم ليناظروا بين يديه ويكون هو الحاكم بينكم.

قال عبـد العـزيز: فأكثرت حمد الله وشكره على ذلك، وأظهرت الدعاء والشكر لأمير المؤمنين.

فقال عمرو: أعطنا كفيلاً بنفسك حتى تحضر معهم يوم الإثنين، وليس بنا حاجة إلى حبسك.

فقلت له: أدام الله عزك أنـا رجـل غريب ولست أعـرف فى هذه البلد أحــداً ولا يعــرفنى من أهلهـا أحـد، فمن أين لى من يكفـل بى خاصة مع إظهارى مقالتى؟ لو كان الخلق يعرفوننى حق معرفتى لتبرءوا منى وهربوا من قربى وأنكرونى. قال: فَنُوَكِّل بك من يكون معك حتى يحضـرك فى ذلـك اليـوم، وتنصـرف فتصلح من شأنـك وتتفكر فى أمرك فلعلك أن ترجـع عن غيّـك وتتـوب من فعلك فيصفـح أمـير المؤمنـين عنـك. فقلت: ذلـك إليـك أعـزك الله فافعل ما رأيت فوكل من يكون معى فى منزلى - وانصرف.

قال عبـد العـزيـز: فلما صليت الغـداة فى يوم الإثنين فى المسجد الـذى على باب بيتى إذا خليفـة(عمـرو بن مسعدة)قد جاءنى ومعه جمع كثير من الفرسان والرّجّالة فحملنى مكرماً على دابة حتى صار بى إلى دار أمـير المؤمنـين فأوقفنى هنـاك حتى جاء(عمرو بن مسعدة)فجلس فى حجـرتـه التى كان يجلس فيهـا ثم أذن لى بالدخول فدخلت فلما صرت بين يديه أجلسنى ثم قال:

أنت مقيم على ما كنت عليــه أم رجعتَ عنــه؟ فقلت:بل مقيم على ما كنت عليه وقد ازددت بتوفيق الله بصيرة ورشداً.

فقـال عمـرو: يا أيهـا الـرجـل قد حملتَ نفسـك على أمر عظيم وبلغت الغـايـة فى مكـروههـا وتعرضت لما لا قِوام لك به من مخالفة أمير

المؤمنــين ، وادعيت ما لا يثبت لك به حجــة على مخالفيــك وليس إلا السيف بعد ظهور الحجة عليك . فانظر لنفسك وبادر أمرك قبل أن تقع المناظرة وتظهر عليك الحجة فلا تنفعك الندامة ولا تُقبل لك معذرة ، ولا تُقـال لك عثـرة ، فقـد رحمتـك وأشفقت عليـك مما هوبك نازل ، وأنـا أستقيل لك أمير المؤمنين وأسأله الصفح عن جرمك وعظيم ما كان منك إن أظهرت الرجوع عنه والندم على ما كان منك ، وآخذ لك الأمان منه ـ أيـده الله ـ والجـائـزة ، وإن كان بك مظلمـة أزلتهـا عنك وإن كان لك حاجـة قضيتهـا لك فإنـما جلست رحمة لك مما هو نازل بك بعد ساعة إن أقمت على ما أنت عليه ، ورجوت أن يخلصك الله على يدىّ من عظيم ما أوقعت نفسك به .

فقلت : ما ندمتُ ـ أعزك الله ـ على ما كان منى ولا رجعت عنه ولا خرجـت من بلدى وغــررت بنفسى إلا فى طلب هذا اليــوم وهــذا المجلس رجـاء أن يبلغنى الله ما أؤمله من إقـامـة الحق . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وهو حسبى ونعم الوكيل .

قال (عبـد العـزيـز) رحمـه الله تعـالى : فقام (عمرو بن مسعدة) على رجليـه وقـال : قد حرصت على خلاصـك جهـدى وأنت حريص على سفك دمك وقتل نفسك .

فقلت : معـونـة الله تبارك وتعالى أعظم وألطف من أن ينسانى أو يكلنى إلى نفسى ، وعـدل أمـير المؤمنـين أوسع من أن يقصر عنى وإنما أقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

قال (عبد العزيز) رحمه الله تعالى : فقام (عمرو بن مسعدة) فدخل بى فأخـرجت إلى الـدهليز الأول ومعى جماعة موكلون بى وكان قد أمر بنى

هاشم أن يركبوا ووجه إلى القضاة والفقهاء الموافقين لهم على مذهبهم وسائر المتكلمين والمناظرين أن يحضروا ، والقواد والأولياء ، فركب القوم بالسلاح ليرهبونى بذلك ويرهبوا الرعية وأمر الناس جميعاً أن لا ينصرفوا حتى نفرغ من المجلس.

فلما اجتمع الناس وتتامُّوا ولم يتخلف منهم أحد ممن يعرفونه بالكلام والجدل أذن لى بالدخول فلم أزل أنتقل من دهليز إلى دهليز حتى صرت إلى الحاجب صاحب الستر الذى على باب الصحن ، فلما رآنى أمر بى فأدخلت إلى حجرته ودخل معى فقال : إن كنت تحتاج إلى تجديد الوضوء ، قلت ما لى إلى ذلك حاجة قال: اركع ركعتين،فركعت أربع ركعات ودعوت الله عز وجل ثم قال لى : استخر الله وقم فادخل . وخرج معى إلى باب الصحن وشال الستر وأخذ الرجال بيدى وعضدى وجعل أقوام أيديهم فى ظهرى وعلى رقبتى وجعلوا يتعادون بى ونظرنى المأمون وأنا أسمع صوتاً : خلوا عنه . وكثر الضجيج من الحُجَّاب والقوّاد بمثل ذلك فخلّوا عنى وقد كاد يتغير عقلى من شدة الجزع وعظيم ما رأيت فى ذلك الصحن من السلاح وهم ملء الصحن وكنت قليل المخبرة بدار أمير المؤمنين ، ما رأيتها قبل ذلك ولا دخلتها .

فلما صرت على باب الإيوان وقفت فسمعت(المأمون)يقول : أدخلوه ، قربوه . فلما دخلت من باب الإيوان وقعت عينى عليه وقبل ذلك لم أنتبه لما كان على باب الإيوان من الحجاب والقواد فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال:وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . ثم قال : ادن منى . فدنوت منه ثم جعل يقول : ادن منى ، فدنوت منه ثم جعل يقول : ادن وأدنو، وكرر ذلك وأنا أدنو خطوة خطوة حتى صرت إلى الموضع الذى يجلس فيه المتناظرون ويسمع

كلامهم والحاجب معى يقدمنى فلما انتهيت إلى الموضع قال لى المأمون : اجلس . فجلست .

قال عبد العزيز: وسمعت رجلا من جلسائه يقول ، وقد دخلت الإيوان : ياأمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قُبْحُ وجهه ، فوالله ما رأيت خلقاً أقبح وجهاً منه ، فسمعت قوله هذا وفهمته وما رأيت شخصه على ما كنتُ فيه من الجزع والرعدة .

قال عبد العزيز: وتبين لأمير المؤمنين ما أنا فيه من الجزع وما قد نزل بى من الخوف فجعل ينظرنى وأنا أرتعد خوفاً وأنتفض وأحب أن يؤنسنى ويسكّن روعتى فجعل يكثر كلام جلسائه . يكلم(عمرو بن مسعدة)ويتكلم بأشياء كثيرة مما لا يحتاج إليها يريد بذلك كله إيناسى وجعل يطيل النظر إلى الإيوان ويدير نظره فيه فوقعت عيناه على موضع من نقش الجص قد انتفخ فقال ياعمرو ما ترى هذا قد انتفخ من هذا النقش فى هذا الجص وسيقع فبادر فى قلعه وعمله فقال عمرو: قطع الله يد صانعه فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا .

قال عبد العزيز: ثم أقبل المأمون علىّ فقال : ما الاسم؟ فقلت : عبد العزيز. قال : ابن من؟ قلت : يحيى بن مسلم ، قال : ابن من؟ قلت : بن ميمون الكنانى ، قال : أو أنت من كنانة؟ قلت : نعم ياأمير المؤمنين . فتركنى هنيهة لا يكلمنى فقال : من أين الرجل؟ قلت : من الحجاز. قال : ومن أى الحجاز؟ قلت : من مكة . قال : ومن تعرف من أهل مكة؟ قلت : ياأمير المؤمنين قلَّ من بها من أهلها إلا وأنا أعرفه إلا رجل ضوى إليها أو من جاور بها فإنى لا أعرفه . قال : تعرف فلاناً وفلاناً حتى عدد جماعة بنى هاشم كلهم أعرفهم حق المعرفة فجعلت أقول نعم وسألنى عن أولادهم وأنسابهم فأخبرته من غير حاجة إلى شىء من

ذلك ولا تقدم من مسألتى ، وإنما يريد إيناسى وبسطى للكلام وتسكين روعتى وجـزعى فذهب عنى ما كنت فيـه ومـا لحقنى من الجزع وجاءت المعونة من الله عز وجل، قوى بها ظهرى واشتد بها قلبى واجتمع بها فهمى .

قال"عبـد العـزيز"رحمه الله تعالى : فأقبل المأمون علىّ وقال ياعبد العزيز إنه قد اتصل بى ما كان منك وقيامك فى المسجد الجامع وقولك إن القـرآن كلام الله الـخ بحضرة الخلق وعلى رءوس الخلائق ، وما كان من مسألتـك بذلـك من الجمع بينك وبين مخالفيك على القول لتناظرهم فى حضـرتى وفى مجلسى والاستـماع منـك ومنهم وقـد جمعت المخالفين لك لتناظرهم بين يدى وأكون أنا الحاكم بينكم فإن تتبين الحجة لك عليهم والحق معـك اتبعنـاك وإن تكن الحجـة لهم عليك والحق معهم عاقبناك وإن استقلت أقلناك .

ثم أقبـل "المأمـون" علىّ(بشـر المـريسى)وقـال : يابشـر قم إلى عبد العزيز فناظره وأنصفه . قال : فوثب(بشر المريسى) من موضعه الذى كان فيـه كالأسـد يثب إلى فريستـه فرحـا فانحـط علىّ فوضع ركبتيه وفخذه الأيسر على فخذى الأيمن فكاد أن يحطمه وغمز إلىّ بقوته كلها فقلت : مهـلاً فإن أمـير المؤمنين لم يأمرْك بقتلى ولا بظلمى وإنما أمرك بمناظرتى وإنصافى ، فصاح به "المأمون" وقال : تنحَّ عنه ، وكرر ذلك عليه حتى باعده منى .

قال ثم أقبل "المأمون" علىّ وقال : ياعبد العزيز ناظِرْه على ما تريد واحتـج عليـه ويحتـج عليـك وتسأله ويسألك وتناصفا فى كلامكما وتحفظا ألفاظكما فإنى مستمع إليكما فتحفظا ألفاظكما ، فقال عبد العزيز : فقلت السمـع والطـاعة لأمير المؤمنين ولكن أريد أن أقول شيئا فيأذن لى أمير

المؤمنين فيه، قال: قل كما تريد. قلت: ياأمير المؤمنين أسألك بالله من أجمل من بلغك من البشر وأحسنهم وجهاً من جميع ولد آدم؟ قال: يوسف - بعد أن أطرق ملياً - قلت: صدقت ياأمير المؤمنين فوالله ما أعطى يوسف على حسن وجهه جرادتين، ولقد سجن وضيق عليه من أجل حسن وجهه ظلماً بغير حق بعد أن وقف على براءته وإقرار امرأة العزيز أنها هى راودته عن نفسه فاستعصم فحبس بعد ذلك كله لحسن وجهه قال الله تعالى ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ فدل بقوله على أنه حبس بغير ذنب لكن العلة حسن وجهه وليغيبوه عنها وعن غيرها رجاء تغير حلية وجهه وليذهب بحسنه فطال فى السجن مكثه حتى عبّر الرؤيا ووقف الملك على علمه ومعرفته وحسن عبارته، فاشتاق إليه ورغب فى صحبته فقال: ائتونى به أستخلصه لنفسى وكان هذا القول من الملك بعد تعبير يوسف الرؤيا ووقوف الملك على حسن عبارته، وكما أخبر الله عز وجل فى كتابه، قبل أن يسمع كلامه، فلما دخل عليه وسمع كلامه صيره على خزائن الأرض وفوض إليه الأمور كلها واعتزل منها وصار كأنه من تحت يده فكان ما بلغه يوسف كله من كلامه وعلمه لا بجماله وحسن وجهه، قال الله عز وجل ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ، قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾. ولم يقل إنى حسن جميل، فوالله ما أبالى ياأمير المؤمنين لو كان وجهى أقبح مما هو معى فقد أعطانى الله وله الحمد من فهم كتابه والعلم بتنزيله.

فقال المأمون: وأى شىء أردت بهذا القول وما الذى دعاك إليه؟ فقلت: إنى سمعت بعض من ههنا يقول: ياأمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبحُ وجهه، فأى عيب يلحقنى فى صنعة ربى عز وجل؟ فتبسم المأمون حتى وضع يده على فيه فقلت ياأمير المؤمنين قد رأيتك تنظر

هذا النقش فى الحائط وتنكر انتفاخ الجص وسمعت عمراً يعيب الصانع ولا يعيب الجص، فقال المأمون: العيب لا على الشىء المصنوع إنما العيب على صانعه، فقلت: صدقت ياأمير المؤمنين وقلت الحق فهذا يعيب ربى لم خلقنى قبيحاً؟ فازداد تبسما حتى ظهر ذلك فقال ياعبد العزيز ناظر صاحبك فقد طال المجلس بغير مناظرة.

قلت ياأمير المؤمنين: كل متناظرَيْن على غير أصلٍ يكون بينهما يرجعان إليه إذا اختلفا فى شىء من الفروع فهما كالسائر على غير طريق وهو لا يعرف المحجة فيتبعها ولا يعرف الموضع الذى يريد فيقصده، وهو لا يدرى من أين جاء فيرجع فيطلب الطريق وهو على ضلال، ولكنا نؤصل بيننا أصلاً فإذا اختلفنا فى شىء من الفروع رددناه إلى الأصل فإن وجدناه فيه وإلا رمينا به ولم نلتفت إليه. قال المأمون: نِعْمَ ما قلت فاذكر الأصل الذى تريد أن يكون بينكما، قلت:ياأمير المؤمنين الأصل بينى وبينه ما أمر الله عز وجل واختاره لنا وعلّمناه وأدبنا به فى التنازع والاختلاف ولم يكلْنا إلى غيره ولا إلى أنفسنا واختيارنا فنعجز.

قال المأمون: وهل ذلك موجود عن الله عز وجل؟ قلت:نعم ياأمير المؤمنين.قال:فاذكر ذلك.قلت:قال الله عز وجل ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ فهذا تعليم من الله وتأديبه واختياره لعباده المؤمنين ما أصله المتنازعون بينهم، وقد تنازعت أنا وبشر ياأمير المؤمنين وبيننا كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ كما أمر الله عز وجل فإذا اختلفنا فى شىء من الفروع رددناه إلى كتاب الله عز وجل فإن وجدناه فيه وإلا إلى سنة نبيه ﷺ فإن وجدناه فيها وإلا ضربناه فى الحائط ولم نلتفت إليه.

قال المأمون: فافعلا وأصّلا بينكما هذا واتفقا عليه وأنا الشاهد عليكما والحافظ لما يجرى بينكما.

قال عبد العزيز: قلت ياأمير المؤمنين إنه من ألحد فى كتاب الله زائداً أو جاحداً لم يناظر بالتأويل ولا بالتفسير، قال المأمون: بأى شىء تناظر؟ قلت:بنص القرآن بالتلاوة قال الله عز وجل لنبيه ﷺ حين ادعت اليهود تحريم أشياء لم تحرم عليهم ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ وقال الله عز وجل لنبيه ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِى أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ وقال الله عز وجل ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾. وقال ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ فإنما أمر الله نبيه بالتلاوة ولم يأمره بالتأويل وإنما يكون التأويل لمن آمن بالتنزيل فأما من ألحد بالتنزيل فكيف يناظر بالتأويل؟ فقال المأمون: ويخالفك بالتنزيل؟ قلت: نعم ليخالفنى أو ليدعن قوله ومذهبه وليوافقنى. قال: فناظره بالتلاوة ونص التنزيل. قلت: نعم.

قال عبد العزيز: فأقبلت على بشر فقلت يابشر ما حجتك أن القرآن مخلوق وانظر أحدَّ سهم من كنانتك فارمنى به ولا تحتج إلى معاودتى لغيره.

قال بشر: تقول ياعبد العزيز القرآن شىء أم غير شىء فإن قلت شىء فقد أقررت أنه مخلوق إذا كانت الأشياء كلها مخلوقة بنص التنزيل، وإن قلت إنه ليس بشىء فقد كفرت لأنك تزعم أن حجة الله على خلقه ليس بشىء.

قال "عبد العزيز": فقلت لبشر ما رأيت أعجب من هذا تسألني وتجيب عن نفسك فإن تسألني لأجيبك فاسمع الجواب مني فإني أُحسن أن أُجيبك وأعبّر عن نفسي وإن ترد أن تخطب وتتكلم لتهشني[1] حجتي فلن أزداد بتوفيق الله إياي إلا بصيرة وفهماً وما أحسبك يابشر إلا وقد تعلمت شيئاً أو سمعت هذه المقالة والتي قبلها أو قرأتها في كتاب فأنت تكره أن تقطعها حتى تأتي على آخرها.

فأقبل عليه "المأمون" وقال: صدق "عبد العزيز" اسمع منه الجواب ما سألته ثم رد عليه بعد ذلك ما شئت ثم قال لي: تكلم فأجبه يا عبد العزيز لما سألك.

فقلت لـ"بشر": سألت عن القرآن هو شيء أم غير شيء فإن كنت تريد أنه شيء إثباتاً للوجود ونفياً للعدم فنعم هو شيء وإن كنت تريد أن الشيء اسم له وأنه كالأشياء فلا.

فقال "بشر": ما أدري ما تقول ولا أفهمه ولا أعقله ولا أسمعه ولابد من جواب يعقل ويفهم أنه شيء أم غير شيء، قال فقلت لبشر: صدقت لأنك لا تفهم ولا تعقل ولا تسمع ما أقول ولقد وصفت نفسك بأقبح الصفات واخترت لها أذم الاختيارات ولقد ذم الله عز وجل قوماً في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ قالوا مثل مقالتك وكانوا بمثل ما وصفت به نفسك قال الله عز وجل ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ. وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ وقال ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي

---

(١) في نسخة أخرى لتهشني وهو الأنسب وفي القاموس هش الورق خبطه بعصا ليتحات. مصحح.

ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ وقال ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ إلى قوله ﴿فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ ومثل هذا فى القرآن كثير ولقد مدح الله قوماً فى كتابه بحسن الاستماع وأثنى عليهم فقال ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ الآية، وقال ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ الآية. وقال ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

فما اخترت لنفسك ما اختاره الرسول ولا ما اختاره المؤمنون ولا ما اختاره أهل الكتاب.

قال المأمون: دع عنك هذا يا عبد العزيز وارجع إلى ما كنت فيه وبيّن ما قلته واشرحه من ذكر الشيء. فقلت: ياأمير المؤمنين إن الله أجرى كلامه على ما أجراه على نفسه إذ كان كلامه من ذاته ومن صفاته فلم يَتَسَمَّ بالشيء ولم يجعل الشيء اسما من أسمائه ولكنه دل على نفسه أنه شيء وأنه أكبر الأشياء إثباتاً للوجود ونفياً للعدم وتكذيباً للزنادقة ومن تقدمهم ممن جحد معرفته وأنكر ربوبيته من سائر الأمم فقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ فدل على نفسه أنه شيء كالأشياء وأنزل فى ذلك خبراً خاصاً مفرداً لعلمه السابق أن (جهماً وبشراً) ومن قال بقولهما سيلحدون فى أسمائه وصفاته ويشبهون على خلقه ويدخلونه وكلامه فى الأشياء المخلوقة فقال عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فأخرج نفسه وكلامه وصفاته من الأشياء المخلوقة بهذا الخبر تكذيباً لمن ألحد فى كتابه وافترى عليه وشبّهه بخلقه وقال ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ثم عدد أسماءه فى كتابه ولم يتسم بالشيء

ولم يجعل الشيء اسماً من أسمائه قال النبي ﷺ (إنَّ للهِ تسعةً وَتِسعينَ اسماً مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ) ثم عددها فلم نجده جعل الشيء اسماً فقلت كما قال الله وتأدبت بما أدبني الله متبعاً غير مبتدع ثم ذكر جل ذكره كلامه كما ذكر نفسه ودل عليه مثل ما دل على نفسه ليعلم الخلق أنه من ذاته وأنه صفة من صفاته فقال عز وجل ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَآءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدَىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ فذم الله من نفى أن يكون كلامه الذى أنزله على رسوله شيئاً وذلك أن رجلاً من المسلمين ناظر رجلاً من اليهود بالمدينة فجعل المسلم يحتج على اليهودى من التوراة بما علم من صفة النبى ﷺ وذكر نبوته من التوراة فضحك اليهودى وباهت فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فأنزل الله عز وجل تكذيبه،وذم قوله،وأعظم فريته حين جحد أن يكون كلام الله شيئاً ليس كالأشياء،كما دل على نفسه أنه شيء وليس كالأشياء وقال فى موضع آخر: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ فدل بهذا الخبر أيضاً على أن الوحى شيء بالمعنى وذم من جحد أن يكون كلامه شيئاً فلما أظهر اسم كلامه لم يظهره باسم الشيء فيلحد الملحدون فى ذلك ويدخلونه فى جملة الأشياء ولكنه أظهره باسم الكتاب والنور والهدى فقال لنبيه ﷺ ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَآءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدَىً لِلنَّاسِ﴾ فأظهره باسم الكتاب والنور والهدى ولم يقل قل من أنزل الشيء الذى جاء به موسى ﵇ ويجعل الشيء اسما لكلامه فكانت أسماء ظاهرة يعرف بها كما سمى نفسه بأسماء ظاهرة يعرف بها فسمى كلامه نوراً وهدىً وشفاءً ورحمةً وحقاً وقرآنا وفرقاناً لعلمه السابق فى "جهم" و"بشر" ومن يقول بقولهما أنهم سيلحدون فى كلامه ويدخلونه فى الأشياء المخلوقة.

فقال "بشر": ياأمير المؤمنين قد أقر "عبد العزيز" أن القرآن شيء وادعى أنه ليس كالأشياء وقلت أنا إنه كالأشياء فليأت بنص التنزيل كما أخذ على نفسه أنه ليس كالأشياء وإلا فقد بطل ما ادعاه وصح قولي أنه مخلوق إذ كنا جميعاً قد اجتمعنا على أنه شيء وقال الله عز وجل: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ بنص التنزيل.

فقال "المأمون": هذا يلزمك يا "عبد العزيز" لما أخذت على نفسك وجعل "محمد بن الجهم" وغيره يضجون ويقولون: ظهر أمر الله وهم كارهون، جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، وطمعوا في قتلي وجثا "بشر" على ركبتيه وجعل يقول: أقر والله ياأمير المؤمنين بخلق القرآن وأمسكت فلم أتكلم حتى قال لي أمير المؤمنين: مالك لا تتكلم ياعبد العزيز فقلت ياأمير المؤمنين قد تكلم "بشر" وطالبني بنص التنزيل على ما قلت وهو المناظر لي فضجيج هؤلاء إيش هو وأنا لم أنقطع ولم أعجز عن الجواب وإقامة الحجة بنص التنزيل على "بشر" كما طالبني، ولست أتكلم وفي المجلس أحد يتكلم غير "بشر" إلا أن ينقطع "بشر" عن الحجة فيعتزل ويتكلم غيره.

فصاح "المأمون" لـ "محمد بن الجهم" وغيره أن أمسكوا فأمسكوا وأقبل عليّ وقال: تكلم يا "عبد العزيز" واحتج لنفسك فليس يعارضك غير "بشر"،

قال: قلت: قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾. وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ وقال سبحانه: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ فدل عز وجل بهذه الأخبار وأشباه لها في القرآن كثيرة على أن كلامه ليس كالأشياء وأنه غير الأشياء وأنه

خارج عن الأشيـاء وأنـه يكوّن الأشياء ثم أنزل الله عز وجل خبراً مفرداً ذكـر فيـه خلق الأشيـاء كلها فلم يدع منها شيئاً إلا ذكره وأدخله في خلقه وأخرج كلامه وأمره من جملة الخلق وفصله منها ليدل على أن كلامه غير الأشيـاء المخلوقـة وخـارج عنهـا فقـال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّـذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْـرُ تَبَـارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فجمع فى قوله ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ جميع ما خلق فلم يدع شيئـاً ثم قال ﴿وَالْأَمْـرُ﴾ يعنى والأمـر الذى كان به الخلق خلقـاً، فرقـاً بين خلقـه وأمـره فجعل الخلق خلقاً والأمر أمراً وجعل هذا غير هذا وقال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾. وقال: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ يعنى من قبل الخلق ومن بعد الخلق تم جمع الأشياء المخلوقـة فى آيـات كثـيرة فى كتـابـه فأخـبر عن خلقها وأنه خلقها بقوله وكـلامـه وأن كلامـه وقـولـه غيرها وخارج عنها فقال: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰـوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَـوْمَ يَقُـولُ كُنْ فَيَكُـونُ قَوْلُـهُ الْحَقُّ وَلَـهُ الْمُلْكُ﴾. وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّـاعَـةَ لَآتِيَـةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾. وقال: ﴿حمٓ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَـزِيـزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَـا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَـلٍ مُسَمًّى﴾. وقـال: ﴿وَمَـا خَلَقْنَـا السَّمٰـوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَـا بَيْنَهُـمَا لَاعِبِـينَ مَا خَلَقْنَـاهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾. وقـال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِى أَنْفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.

فقـال المأمون: يجزيك هذا أو بعضه ياعبد العزيز فاختصر فقلت: ياأمـير المؤمنـين قد أخـبر الله عن خلق السمٰوات والأرض وما بينهما فلم يدع شيئاً من الخلق إلا ذكره، فأخبر عن خلقه أنه ما خلقه إلا بالحق وأن الحق قولـه وكـلامـه الـذى به خلق الخلق كله وأنه غير الخلق وأنه خارج

عن الخلق، وغير داخل فى الخلق وهذا نص التنزيل على أن كلام الله غير الأشياء المخلوقة وليس هو كالأشياء وبه تكون الأشياء.

قال "بشر": ياأمير المؤمنين قد ادعى أن الأشياء لا تكون إلا بقوله ثم جاء بأشياء متباينات متفرقات وزعم أن الله يخلق بها الأشياء فأكذب نفسه ونقض قوله ورجع عما ادعاه من حيث لا يدرى وأمير المؤمنين شاهد عليه وهو الحاكم بيننا.

فأقبل "المأمون" علىّ فقال يا "عبد العزيز": قد قال بشر كلاماً قد قلته ويحتاج أن تصحح قولك ولا ينقض بعضه بعضا، وجعل "بشر" يصيح: لو تركته يتكلم لجاء بألف شيء مما خلق الله به الأشياء، فقلت: ياأمير المؤمنين قد ذهبت بالحجج ورضى "بشر" وأصحابه بالضجيج والترويج بالباطل وقطع المجلس وطلب الخلاص ولا خلاص من الله حتى يظهر دينه ويقمع الباطل بالحق فيزهقه.

فصاح "المأمون" ببشر: أقبل على صاحبك واسمع منه ودع هذا الضجيج، وكان "المأمون" قد قعد منا مقعد الحاكم من الخصوم، ثم أقبل "المأمون" وقال: تكلم يا "عبد العزيز" فقلت يا "بشر" زعمت أنى قد جئت بأشياء متباينات متفرقات وادعيت أن الله خلق بها الأشياء وما قلت إلا ما قال الله عز وجل ولا أقول إن الله خلق الأشياء بقوله وكلامه وأمره وهذه أربعة أشياء ولا أنه خلقها إلا بكلامه.

قال "بشر": ياأمير المؤمنين: قد قال إن الله خلق الأشياء بقوله وكلامه وأمره وهذه أربعة أشياء.

قال "المأمون": بل قلت هذا يا "عبد العزيز" فقلت: صدق أمير المؤمنين قد قلت هذا وهذه أربعة أشياء لشيء واحد لأن كلام الله هو قوله، وقول الله هو كلامه، وأمر الله هو كلامه، وكلام الله هو أمره، وكلام الله هو الحق

والحق هو كلام الله،فهذه أسماء لكلام الله،وقد قدمت ذكر هذا فقلت:إن الله سمّىٰ كلامه نوراً وهدىً وشفاءً ورحمةً وقرآناً وفرقاناً وبرهاناً وسماه الحق،وهذه أشياء شتى لشيء واحد وهو كلام الله كما سمى نفسه بأسماء كثيرة وهو واحد صمد فرد وإنما ينكر"بشر"هذا ويستعظمه لقلة معرفته بلغة العرب.

قال"بشر": قد أصّل بيني وبينه كتاب الله وزعم أنه لا يقبل إلا بنص التنزيل فأين نص التنزيل أن كلام الله هو قوله وهو أمره وأن كلامه هو الحق؟ فقال"المأمون"هذا يلزمك يا"عبد العزيز"لما عقدت على نفسك من الشرط. فقلت:نعم ياأمير المؤمنين وعليّ أن آتى بنص التنزيل على ما قلت. قال:فهاته قلت: قال الله عز وجل وقد ذكر كلامه فى القرآن: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾ وإنما يسمعه من قارئه وإنما عنىٰ القرآن لا خلاف بين أهل العلم واللغة فى ذلك وقال: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ قُلْ لَّنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ﴾ وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ﴾ فقد أخبر عن القرآن أنه الحق وقال: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ فأخبر عن القرآن أنه الحق وقال: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ﴾ فأخبر عن القرآن أنه الحق وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ وقال: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّنَا﴾ فأخبر أنه الحق.

فهـذه أخبـار الله كلهـا أن القـرآن هو الحق ثم ذكـر عز وجل قوله فسماه الحق فأخـبر أن الحق قوله قال: ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ فأخبر أنه الحق وأن الحق قولـه وقـال: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾ فهـذه أخبـار الله أنـه الحق وأن الحق قوله ثم ذكر أن كلامـه الحق وأن الحق كلامـه فقـال: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقال: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ وقال: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فهذه أخبـار الله أن الحق كلامـه وأخـبر أن أمـره هو القـرآن وهو كلامه فقال: ﴿حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ يعنى القرآن، وقال: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ يعنى القرآن.

فهـذه أخبـار الله أن القـرآن أمره وكلامه وأن أمره هو القرآن وهذا تعليم لخلقـه وتأديب لهم،فقلت كما قال الله:إن القـرآن كلام الله وأنـه أمر من أمـر الله وأنــه الحق، وأن هذه أسـماء لشيء واحد هو الكلام الذى به خُلِقت الأشياء وهو غير الأشياء وخارج عن الأشياء وليس هو كالأشياء، فهذا بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير.

فقـال "المأمـون": أحسنت ياعبد العزيز"، فقال "بشر"ياأمير المؤمنين هذا يجب أن يخطب بما لا أسمعه ولا أعقله ولا ألتفت إليه وما أتى بحجة، ولا أقبل من هذا شيئاً، قال: قلت:ياأمير المؤمنين من لا يعقل عن الله ما يخاطب به نبيه وما علّمه لعباده فى كتابه يدّعى العلم ويحتج للمقالات والمذاهب ويدعو الناس للبدع والضلال؟ قال "بشر": أنا وأنت فى هذا سواء، تنتزع آيات من القرآن لا تعلم تفسيرها ولا تأويلها وأنا أرد

ذلك وأدفعه حتى تأتى بها أفهمه وأعقله ، قال عبد العزيز: فقلت: ياأمير المؤمنين فذاك كلام بشر وتسويته فيما بينى وبينه ، ولقد فرّق الله فيما بينى وبينه ، وأخبر أنّا على غير السوى ، وأكذبه فى دعواه .

فقال المأمون : وأين ذلك من كتاب الله عز وجل؟ قلت : قال الله عز وجل : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ فأنا والله ياأمير المؤمنين أعلم أن الذى أنزل عليه هو الحق وأومن به ، وبشر قد شهد على نفسه أنه لا يعلمه ولا يفهمه ولا يعقله ولا يقبله ، وأنه مما لا يقوم لى به حجة فلم يقل كما قال الله عز وجل ، ولا كما قال نبيه ﷺ ، ولا كما قال موسى عليه السلام، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال المؤمنون، ولا كما قال أهل الكتاب ، ولقد أخبر الله عن جهله وأزال عنه المذكرة وأخرجه عن جملة أولى الألباب ، لكن أمير المؤمنين لما خصه الله به من الفضل والسؤدد ، وشرّفه به من الحلم والفضل ، ورزقه من الفهم والمعرفة قد عقل عن الله قوله ، وعرف ما عُنِى فقبله واستحسنه ممن انتزع به بين يديه .

فقال بشر: قد أقرّ بين يديك أن القرآن شىء فليكن عنده كيف شاء فقد اتفقنا جميعاً أنه شىء وقد قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فهذه لفظة لم تدع شيئاً إلا أدخلته فى الخلق ولا يخرج عنها شىء ينسب إلى الشىء، لأنها لفظة قد استوعبت الأشياء كلها وأتت عليها مما ذكرها الله عز وجل ومما لم يذكرها ، فصار القرآن مخلوقاً بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير .

قال عبد العزيز: فقلت ياأمير المؤمنين علىّ أن أكسر قوله وأكذبه فيما قال بنص التنزيل حتى يرجع عن قوله أو يقف أمير المؤمنين على كسر قوله وبطلان دعواه .

فقال المأمون: قل ما عندك، قلت: قال الله فى قصة عاد ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ فهل أبقت الريح يابْشرْ شيئاً لم تدمره؟ قال: لا قد دمرت كل شىء كما أخبر الله عنها فلم يبق شىء إلا وقد دخل تحت هذه اللفظة، فقلت:قد أكذب الله عز وجل من قال هذا بقوله: ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ فأخبر أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم، ومساكنهم أشياء كثيرة، وقد قال: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ وقد قال فى قصة بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ فهل بقى يا"بشر" شىء لم تؤته "بلقيس"؟

قال:أنا أقول إن هذه اللفظة تجمع الأشياء كلها.

فقلت:قد أكذب الله عز وجل من قال هذا، لأن مُلْك "سليمان" كمثل مُلْك "بلقيس" مائة ألف مرة ولم تؤته.

وهذا كله ما يكسر قولك، ويبطل مذهبك، ويدحض حجتك، ومثل هذا فى القرآن كثير، ولكن أبدأ بما هو أشنع وأظهر فضيحةً لمذهبك وأدمغ لبدعتك، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ وقال: ﴿لَّٰكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ وقال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ اللهِ﴾ وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ أتُقِرُّ يا"بشر" لله علماً كما أخبر، أو تخالف التنزيل؟

قال: فحاد "بشر" عن جوابى وأبى أن يصرح بالكفر فيقول ليس لله علم،فيكون قد رد نص التنزيل فتبين ضلالته وكفره، وأبى أن يقر أن لله علماً فأسأله عن علم الله هل هو داخل فى الأشياء المخلوقة أم لا، وعلم ما أريد وألزمه فى ذلك من كسر قوله وإبطال مذهبه ودحض حجته، فاجتلب كلاماً لم أسأله عنه وقال: الله لا يجهل. وهذا معنى العلم.

قال: فأقبلت على "المأمون" فقلت: ياأمير المؤمنين، لا يكون الخبر عن المعنى فليقر "بشر" أن لله علماً كما أخبرنا به فى كتابه، فإنى سائله ما معنى العلم وهذا مما لا أسأله عنه إذ قال إن الله لا يجهل. وقد حاد "بشر" ياأمير المؤمنين عن جوابى.

فقال "بشر": وهل تعرف الحَيدة؟ قلت: نعم إنى لأعرف الحيدة فى كتاب الله، وهى سبيل الكفار التى اتبعتَها. فقال لى "المأمون": ياعبد العزيز أتعرف الحيدة فى كتاب الله؟ قلت: نعم ياأمير المؤمنين وفى سُنّة المسلمين وفى لغة العرب. قال "المأمون": اذكر ذلك.

قلت: قال الله تعالى فى قصة "إبراهيم" حين قال لقومه: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ؟ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّون﴾ وإنما قال لهم "إبراهيم" هذا ليذمهم ويعيب آلهتهم، ويسفّه أحلامهم. فعرفوا ما أراد بهم، فصاروا بين أمرين: أن يقولوا نعم يسمعوننا حين ندعو، أوينفعوننا أو يضروننا، فيشهد عليهم بلغة قومهم أنهم كذبوا، أويقولوا لا يسمعوننا حين ندعو، ولا ينفعوننا، ولا يضروننا، فينفون عن آلهتهم القدرة، وعلموا أن الحجة عليهم "لإبراهيم"، لأنهم فى أىّ القولين أجابوه فهو عليم، فحادوا عن جوابه واجتلبوا كلاماً من غير ما سألهم عنه فقالوا ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُون﴾ فلم يكن هذا جواب مسألته.

وأما الحيدة فى سُنة المسلمين فإنه يروى عن "عمر بن الخطاب" رضى الله عنه أنه قال "لمعاوية" وقد قدم عليه فرآه يكاد يتفقأ شحماً فقال: يا "معاويةُ" ما هذه؟ لعلها من نومة الضحى ورد الخصوم. قال "معاوية": ياأمير المؤمنين علّمنى وفهّمنى، ولم يكن هذا جواباً لقول "عمر" رضى الله عنه، ولكنه حاد عن جوابه لعلمه بما عليه من رد الجواب، واجتلب كلاماً من غير ما سأله عنه فأجابه به.

وأما الحيدة فى كلام العرب فقول امرىء القيس فى المعنى :

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الغَبِيطُ بِنَا مَعاً   عَقَرْتَ بَعِيرِي يَاامْرَأَ الْقَيْسِ فَانْزِلِ
فَقُلْتُ لَهَا سِيرِى وَأَرْخِى زِمَامَهُ   وَلَا تُبْعِدِينى عَنْ جِنَاكِ الْمُحَلَّلِ

ولم يكن هذا جواباً لقولها وإنما حاد عن جوابها فاجتلب كلاماً غيره فأجاب به .

فأقبل المأمون على بشر فقال : يأبى عليك عبد العزيز إلا أن تقر أن لله علماً فأجبه ولا تَحِد عن جوابه ، فقال بشر : قد أجبته عن معنى العلم أنه لا يجهل وهذا هو جوابه ولكنه يتعنت . قال فقلت:صدق بشر ياأمير المؤمنين أن الله لا يجهل ، ولم تكن مسألتى له عن الجهل ، إنما سألته عن العلم ، فليقر أن لله علماً كما أخبرنا فى كتابه وأثبته لنفسه ، وليقل إن الله لا يجهل بعد إقراره بالعلم .

ثم التفت إلىّ بشر فقلت : لابد أن تُقر أن لله علماً كما أخبرنا فى كتابه أو ترد أخبار الله بنص التنزيل ، أو يقف أمير المؤمنين على حَيْدَتِك عن جوابى . فجعل يقول:إن نفى الجهل عنه هو إثبات العلم له وإن كان اللفظان مختلفين ، فقلت:ياأمير المؤمنين إن نفى السوء لا يثبت به المُدْحة ، وإن إثبات المدحة ينفى السوء ، وكذلك نفى الجهل لا يثبت العلم وإثبات العلم ينفى الجهل .

قال بشر : وكيف ذاك؟ فقلت:إن قولك هذا الاضطرارى إنه لا يجهل ليس هو مدحة له ولا إثبات للعلم .

قال عبد العزيز: فأقبلت على المأمون فقلت:ياأمير المؤمنين إن الله عز وجل لم يمدح فى كتابه ملَكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ، ولا مؤمناً تقياً بنفى الجهل عنه ليدل على إثبات العلم له ، وإنما مدحهم بإثبات العلم

لهم فنفى بذلك الجهل عنهم، فقال وقد مدح الملائكة ﴿كِرَاماً كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ولم يقل لا يجهلون، وقال لنبيه ﷺ ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ وقال فى مدحه المؤمنين: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ لم يقل الذين لا يجهلون، وهذا قول الله ومدحه لملائكته ولنبيه ﷺ وللمؤمنين، فمن أثبت العلم نفى الجهل، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم، فما اختاره "بشر" ما اختاره الله لملائكته ولا لنبيه ولا من حيث اختار لعباده المؤمنين.

فأقبل علىّ "المأمون" وقال لى: يا"عبد العزيز" قد حاد "بشر" عن جوابك، وقد أبىٰ أن يقر أن لله علماً، ماذا تتكلم أنت عنه فى الإقرار بذلك؟ قلت: نعم ياأمير المؤمنين إذا أقر أن لله علماً سألته عن علم الله: هل هو داخل فى الأشياء المخلوقة حين احتج بقوله: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وزعم أنه لم يبق شىء إلا وقد أتىٰ عليه هذا الخبر، فإن قال علم الله داخل فى الأشياء المخلوقة فقد شبه الله بخلقه الذين أخرجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً، وكل من تقدم قبل علمه فقد دخل عليه الجهل فيما بين وجوده إلى حدوث علمه، وهذه صفة المخلوقين، والله أعظم وأجل أن يوصف بذلك أو ينسب إليه، ومن قال ذلك فقد كفر وحلّ دمه، ووجب على المؤمنين قتله، وإن قال إن علم الله خارج عن جملة الأشياء المخلوقة، وغير ذلك داخل فيها، فقد رجع عن قوله وأكذب نفسه.

وقلت أنا: وكذلك كلامه خارج عن جملة الأشياء المخلوقة، غير داخل فيها.

فقال "المأمون": أحسنتَ يا"عبد العزيز"، وإنما فرّ "بشر" أن يجيبك فى هذه المسألة لهذا.

ثم أقبل المأمون عليّ وقال: ياعبد العزيز إن الله عالم؟ قلت: نعم ياأمير المؤمنين، قال: فتقول إن لله علماً؟ قلت: نعم ياأمير المؤمنين، قال: فتقول إن الله سميع بصير؟ قلت: نعم ياأمير المؤمنين، قال: فتقول إن لله سمعاً وبصراً؟ قلت: لا ياأمير المؤمنين. قال فافرق بين ذلك.

قال عبد العزيز: فقلت ياأمير المؤمنين وقد قدمت إليك فيما احتججت به أن على الناس جميعاً أن يثبتوا ما أثبت الله، وينفوا ما نفى الله، ويمسكوا عما أمسك الله عنه، فأخبرنا الله عز وجل أن له علماً فقلت إن له علماً كما أخبر، وأخبرنا أنه عالم بقوله ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ فقلت إنه عالم كما أخبر، وأخبرنا أنه سميع بصير فقلت إنه سميع بصير كما أخبر في كتابه، ولم يخبر أن له سمعاً ولا بصراً فأمسكت عنه إمساكه ولم أقل إن له سمعاً ولا بصراً.

فقال المأمون لبشر وأصحابه: ما هو بمُشَبِّه فلا تكذبوا عليه. فقال بشر: قد زعمت ياعبد العزيز أن لله علماً فأي شيء هو علم الله وما معنى علم الله!

فقلت له: هذا مما تفرد الله بعلمه ومعرفته فلم يخبر به ملكا مقرباً ولا نبياً مرسلاً بل احتجبه عن الخلق جميعهم، فلم يعلَمْه أحَد قبلي ولن يعلمه أحَد بعدي، لأن علمه أكثر وأعظم من أن يعلمه أحد من خلقه، ألم تسمع إلى قوله عز وجل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ وقال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ وقال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أتدري يابشر ما معنى هذا؟ وأي شيء مما نحن فيه؟ فقال المأمون: قل أنت ياعبد

العزيز" ما عنى بهذا وفهِّم "بشراً" واشرحه.

قلت: نعم ياأمير المؤمنين، يعنى بقوله هذا، ولو أن ما فى الأرض من جميع الشجر والخشب والقصب أقلام يكتب بها، والبحر مداد يمده من بعده سبعة أبحر، والخلائق كلهم يكتبون بهذه الأقلام من هذا البحر ما نفدت كلمات الله. فمن يبلغ عقله وفهمه وفكره كنه عظمة الله وسعة علمه؟ وقال: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ فمن يجد هذا أو يصفه أو يدعى علمه؟ وقد عجزت الملائكة المقرّبون عن علم ذلك، واعترفوا بالعجز عنه فقالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ وقال: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

وسئل النبى ﷺ عن علم الساعة فقال: علمها عند ربى فى خمس لا يعلمها إلا هو، وتلا: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ﴾ الآية. فأخبر النبى ﷺ أن هذه الخمس مما تفرد الله بعلمها فلا يعلمها إلا هو. فإذا كان النبى ﷺ لا يعلم من علم الله إلا ما علمه، فكيف يجوز لأحد من أمته أن يتكلف علماً أو يدعى معرفة؟

قال "بشر": دع عنك هذا الخطاب لابد من جواب أى شىء هو علم الله بنص التنزيل، أو يقف أمير المؤمنين على أنك قد حِدْتَ عن الجواب فأكون أنا وأنت فى الحيدة سواء.

قال "عبد العزيز": فقلت له إنك لتأمرنى بما نهانى الله عنه، وحرم علىّ القول به، وتأمرنى بما أمرنى به الشيطان، ولست أعصى ربى

وأرتكب نهيه ، وأطيع الشيطان وأتبع أمره وأمرك إن كنتما قد أمرتمانى بخلاف ما أمرنى به ربى بل نهانى .

فاشتد تبسُّم أمير المؤمنين "المأمون" من قولى ثم قال :

يا "عبد العزيز" أمرك "بشر" بما نهاك الله عنه وحرم عليك القول به ، وأمرك به الشيطان؟ قلت : نعم ياأمير المؤمنين . قال : وأين ذلك من كتاب الله عز وجل أو من سنة نبيه عليه السلام؟ قلت : بل من كتاب الله بنص التنزيل . قال : فهاته .

قلت : قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام : ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ وأمرهم الشيطان بضد ذلك فقال الله عز وجل : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ فأخبر الله عز وجل أن الشيطان يأمر الناس بأن يقولوا على الله ما لا يعلمون . فنهاهم عن اتباعه وقبول قوله .

فهذا تحريم الله ونهيه لنا ياأمير المؤمنين أن نقول عليه ما لا نعلم ، وهذا أمر الشيطان لنا أن نقول على الله ما لا نعلم ، وقد اتبع "بشر" ياأمير المؤمنين سبيل الشيطان التى نهاه الله عن اتباعها ووافقه على قوله ، وأمرنى بمثل ما أمرنى به الشيطان أن أقول على الله ما لا أعلم .

فكثر تبسُّم "المأمون" حتى غطى بيده على فيه وأطرق يَنْكُتُ فى الأرض بيده على السرير .

فقال "بشر" : أخبرنى يا "عبد العزيز" لو ورد عليك اثنان وقد تنازعا فى

علم الله ، فقال أحدهما: حلفت بالطلاق أن علم الله هو الله ، وقال الآخر: حلفت بالطلاق أن علم الله غير الله . فقالا لك أفتنا فى أيماننا وأجبنا عن مسألتنا ، ما كان جوابك لهما؟

فقلت : الإمساك عنهما وتركهما وجهلهما وصرفهما بغير جواب .

فقال "بشر" : يلزمك إذا كنت تدعى العلم ويجب عليك إجابتهما فى مسألتهما وإخراجهما من أيمانهما وإلا فأنت وهما فى الجهل سواء .

قال "عبد العزيز" : فقلت لـ"بشر" يجب علىّ أن أجيب كل من سألنى عن مسألة لا أجد لها فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ذكراً؟ نعم فقد جهل السائل وحمق الحلاف عليها . فقال "بشر" : يجب عليك ويلزمك أن تجيبه عن مسألته وتخرجه عن يمينه إذا كان لابد لمسألته من جواب .

فقلت له : هذا تقوله من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ أو من قول أحد من أهل العلم؟ فقال : هذا قول الخلق جميعاً بلا خلاف فيه عندهم .

قال "عبد العزيز" : فقلت هذا قول أهل الجهل ، وكل العلماء يخالفونك فى هذا وينكرونه . ثم أقبلت على "المأمون" فقلت : قد سمعت ما قال "بشر" أنه يجب على جواب كل من سألنى عن مسألة لا أجد لها فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ﷺ مخرجاً وفتياه وإخراجه من يمينه؟ قال "المأمون" : قد حفظت قوله .

فقلت : ياأمير المؤمنين لو ورد علىّ ثلاثة نفر فتنازعوا فى الكوكب الذى أخبر الله أن إبراهيم رآه بقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ . فقال أحدهم

حلفت بالطلاق أنه المشترى، وقال الآخر حلفت بالطلاق أنه الزهرة، وقال الآخر حلفت بالطلاق أنه المريخ،فأجبنا عن مسألتنا وأفتنا فى أيماننا، أكان عليّ أن أجيبهم فى مسألتهم وأفتيهم فى أيمانهم، وذلك لم يخبرنا الله ولا رسوله به؟

فقال المأمون: وما ذاك بواجب ولا لك بلازم.

فقلت له: ياأمير المؤمنين فلو ورد عليّ ثلاثة نفر قد تنازعوا فى الأقلام التى أخبر الله عنها بقوله: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ فقال أحدهم: حلفت بالطلاق أنها من نحاس، وقال الآخر حلفت بالطلاق أنها فضة، وقال الآخر حلفت بالطلاق إن الأقلام خشب، فأجبنا عن مسألتنا وأفتنا فى أيماننا وذلك مما لم يخبر الله به ولا رسوله، ولا يوجد علمه فى كتاب ولا فى سنة، أكان عليّ ياأمير المؤمنين أن أجيبهم عن مسألتهم، وأفتيهم فى أيمانهم؟ فقال المأمون: لا، ما ذاك بواجب عليك ولا يلزمك.

قلت: فلو ورد عليّ ثلاثة نفر قد تنازعوا فى المؤذّن الذى أخبر الله عنه فى كتابه بقوله ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فقال أحدهم: حلفت بالطلاق أن المؤذّن من الإنس، وقال الآخر: حلفت بالطلاق أن المؤذن من الجن، وقال الآخر: حلفت بالطلاق أن المؤذّن من الملائكة،فأجبنا عن مسألتنا وأفتنا فى أيماننا، أكان عليّ إجابتهم وذلك مما لم يخبر به الله عز وجل، ولا رسول الله ﷺ ولا يوجد علمه فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله ﷺ؟

قال المأمون: ما ذاك عليك بواجب، ولا لك بلازم.

فقلت: صدقت ياأمير المؤمنين لا يجوز لى ولا لغيرى إجابتهم

عن مسألتهم، ولا قبول قولهم فى أيمانهم، إلا أن يكون عز وجل قد أخبر به فى كتابه وعلى لسان نبيه محمد ﷺ، وإذا لم يجز هذا فى خلق الله فكيف يجوز الجواب على علم الله عز وجل وهو مما لم يوجد فى كتاب الله ولا فى سنة نبيه محمد ﷺ، وقد أكذب الله "بشرًا" على لسان أمير المؤمنين فيما ادعاه من وجوب الجواب فى فتوى من جهل فى مسألة وحمق فى يمينه.

فقال "المأمون": أحسنت يا "عبد العزيز". فقال "بشر": واحدة بواحدة يا أمير المؤمنين، سألنى "عبد العزيز" أن أقر أن لله علمًا فلم أجبه، وسألته عما هو علم الله فلم يجبنى، فقد استوينا فى الحَيْدَة، ونخرج من هذه المسألة إلى غيرها، وندعها من غير حجة تثبت لأحدنا على الآخر.

قال "عبد العزيز": فقلت يا أمير المؤمنين إن "بشرا" قد أُفحم وانقطع عن الجواب، ودُحِضَت حُجَّتُه وبانت فضيحته، وبقى بلا حجة يقيمها لمذهبه الذى هو عليه، ويدعو إليه، فلجأ أن يسألنى مسألة محال يحج بها منى ليقول سألنى "عبد العزيز" عن مسألة فلم أجبه، وسألته عن مسألة فلم يجبنى فيها وقد قال ذلك الساعة وأنا و"بشر" يا أمير المؤمنين على غير السواء فى مسألتنا، لأنّى سألته عما أخبرنا الله فى كتابه فى مواضع كثيرة وشهد به على نفسه وشهدت له به الملائكة بقوله: ﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ فأخبرنا بعلمه وشهد به لنفسه وشهد له به ملائكته، وتعَبّد الله نبيه وسائر الخلق بالإقرار به والإيمان به بقوله: ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَآ أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ و"بشر" يا أمير المؤمنين يأبى أن يؤمن بذلك أو يقر به أو يصدّق. وسألنى "بشر" عن مسألة ستر الله علمها عن ملائكته وأنبيائه! عن رسله وأهل ولايته جميعاً. وعنّى وعن "بشر" وعن سائر الخلق ممن مضى فى سائر الدهر، ومَنْ هُوَ آتٍ إلى يوم القيامة، فلم يعلمه أحد قبلنا ولم يعلمه أحد بعدنا، فلم

يكن لى أن أجيبه عن مسألته، وإنما يدخل النقض علىّ ياأمير المؤمنين لوكان "بشر" يعلم ما سألنى عنه أوغيره من العلماء وكنت أنا لا أعلم فأما إذا اجتمعنا جميعاً أنا و"بشر" وسائر الخلق فى جهل فليس الضرر بداخل علىّ دونه، وهذه مسألة لا يحل لأحد أن يسأل عنها، ولا يحل لأحد أن يجيب عنها، لأن الله عز وجل حرّم ذلك وحظره ونهى عنه.

فقال "المأمون": أنتما فى مسألتكما على غير السواء، وقد صح قولك فى هذه المسألة وبان ووضح يا"عبد العزيز"، وظهرت حجتك على "بشر" فيها.

قال "عبد العزيز": ورأيت "بشراً" قد حاد وانقطع، وصح ما فى يدى واستبان الحق ووضح لأمير المؤمنين ولسائر مَنْ بحضرته وشهد لى أمير المؤمنين بذلك، فقلت: ياأمير المؤمنين لست أدع "بشراً" حتى أكسر قوله، وأدحض حجته من كل جهة، وأرجع إلى أول المسألة وأدع ذكر العلم وأحتج بما يبطل دعواه، ويفضح مذهبه. فقال "المأمون": قد أصبت يا"عبد العزيز" بتركك الكلام فيما قطع المجلس من غير أن يرجع إليك عن مسألتك جواب، وقد وقفنا من قولك وشرحك على ما يلزم "بشراً" فى هذه المسألة، ولو أجابك عن مسألتك فاخرج عنها إلى غيرها كما قلت، واحتج على "بشر" بغيرها.

قال "عبد العزيز": فقلت ياأمير المؤمنين أيجب على كل من كال بمكيال أن يوفى؟ فقال: ذلك يلزمه.

فقلت: يا"بشر" تزعم أن قول الله ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا يخرج عنها شىء، لأن تلك كلمة تجمع الأشياء كلها فلا تدع شيئاً يخرج عنها وكل ذلك داخل فيها؟ قال "بشر": نعم هكذا قلت، هكذا أقول، ولست أرجع عن قولى لكثرة خطبك وهذيانك، فقلت ياأمير المؤمنين، شاهد

عليه بهذا؟
قال المأمون: أنا شاهد عليه بهذا، فتكلم بما تريد.

فقلت: يابشر قال الله عز وجل: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ وقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ فقد أخبرنا الله عز وجل فى مواضع كثيرة من كتابه أن له نفساً فتقر يابشر أن لله نفساً كما أخبرنا عنها؟ قال: نعم، فقلت ياأمير المؤمنين اشهد عليه أنه أقر أن لله نفساً، قال نعم، قد سمعت قوله وشهدت عليه. فقلت: قال الله ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾ فتقول يابشر أن نفس الله عز وجل داخلة فى هذه النفوس التى تذوق الموت؟ فصاح بأعلى صوته ـ وكان جهورى الصوت ـ معاذ الله، معاذ الله.

قال عبد العزيز: فرفعت صوتى إذاً وقلت: معاذ الله أن يكون كلام الله داخلًا فى الأشياء المخلوقة كما أن نفسه ليست بداخلة فى الأشياء الميتة. فقال بشر ياأمير المؤمنين قد سألنى فليسمع كلامى وليدع الضجيج والصياح، قلت له: تكلم بما شئت.

فقال بشر: وإن كانت نفس الله غير الله أو هو هو فليست بداخلة فى هذه النفوس، فقلت له: كم ألقى إليك أنى أقول بالخبر وأمسك عن علم ما ستر عنى، وإنما قلت إن لله نفساً كما أخبر فى كتابه، وأقررت بذلك عندى فليكن عندك على أى معنى شئت، وقل إنها داخلة فى هذه النفوس أم لا؟ ودع عنك كلام الخطرات والوسواس.
فقال: أنت رجل متعنت وليس عندى جواب غير هذا.

فقال "عبد العزيز": فقلت ياأمير المؤمنين قد كسرت قوله فى هذه المسألة بالقول الأول، والقول الثانى فى باب العلم، وكسرت قوله بغضبه، ودحضت حجته بمذهبه، وبطل ما كان يدعو إليه من بدعته، وبان لأمير المؤمنين قبح مذهبه وفحش قوله.

فأقبل "المأمون" علىّ وقال: ياعبد العزيز قد وضحت حجتك، وبان قولك، وانكسر قول "بشر" فى هذه المسألة، ونحتاج أن تشرح لنا هذه الأخبار فى القرآن ومعانيها وما أراد الله عز وجل.

قال "عبد العزيز": فقلت ياأمير المؤمنين، إن الله عز وجل شرف العرب وكرمهم وأنزل القرآن بلسانهم فقال الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ فخص الله عز وجل العرب بفهمه ومعرفته، وفضلهم على غيرهم بعلم أخباره، ومعانى ألفاظه، وخصوصه وعمومه، ومحكمه ومبهمه، وخاطبهم بما عقلوه وعلموه ولم يجهلوه إذ كانوا قبل نزوله عليهم يتعاملون بمثل ذلك فى خطابهم، فأنزل الله عز وجل القرآن على أربعة أخبار خاصة وعامة (فمنها) خبر مخرجه مخرج الخصوص، ومعناه معنى الخصوص، وهو قوله تعالى: ﴿إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ ثم قال: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ والناس اسم يجمع "آدم" و"عيسى" وما بينهما، وما بعدهما، فعقل المؤمنون عن الله عز وجل أنه لم يعن "آدم" و"عيسى"، لأنه قدم خبر خلقهما.

(ومنها) خبر مخرجه العموم، ومعناه معنى الخصوص، وهو قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ فعقل عن الله أنه لم يعن إبليس فيمن تسعه الرحمة لما تقدم فيه من الخبر الخاص قبل ذلك وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فصار معنى ذلك الخبر

العام خاصاً لخروج إبليس ومن تبعه من سعة رحمة الله التى وسعت كل شىء.

(ومنها) خبر مخرجه الخصوص ومعناه معنى العموم وهو قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾ فكان مخرجه خاصاً ومعناه عاماً (ومنها) خبر مخرجه العموم ومعناه العموم.

فهذه الأربعة الأخبار خص الله العرب بفهمها، ومعرفة معانيها وألفاظها وخصوصها وعمومها والخطاب بها، ثم لم يدعها اشتباهاً على خلقه، وفيها بيان ظاهر لا يخفى على من تدبره من غير العرب ممن يعرف الخاص والعام.

فلما قدَّم إلينا عز وجل فى نفسه خبراً خاصاً أنه حيٌّ لا يموت بقوله عز وجل: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ثم أنزل خبراً مخرجه مخرج العموم ومعناه الخصوص فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ فعقل المؤمنون عن الله عز وجل أنه لم يعن نفسه مع هذه النفوس لما قدَّم إليهم من الخبر الخاص.

وكذلك قدم إلينا فى كتابه خبراً خاصاً ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ فدل على قوله باسم مفرد فقال: ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ ولم يقل إذا أردناهما، ففرّق بين القول والشىء المخلوق الذى يكون بالقول مخلوقا. ثم قال عز وجل ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فعقل المؤمنون عن الله عز وجل أنه لم يعن كلامه وقوله فى الأشياء المخلوقة لما قدم من الخبر الخاص.

فقال "المأمون": أحسنت فاخرجوا منها إلى غيرها.

فقال "بشر": قد خطبت وتكلمت وهذيت، وتركتك تفرح بها

ادعيت عليّ من إبطال خلق القرآن بنص التنزيل، وههنا آية من كتاب الله لا يتهيأ لك معارضتها ودفعها ولا التشبيه فيها، كما فعلت في غيرها بنص خلق القرآن، وإنما أخّرتها ليكون انقضاء المجلس بها، وفيها سفك دمك.

قال "عبد العزيز": فقلت لـ"بشر" هاتها وأنا أُشهد أمير المؤمنين على نفسي أني أول من يتبعك عليها، ويقول بها، ويرجع عن قوله، ويكذب نفسه ويتوب إلى الله عز وجل إن كان معك بنص التنزيل، ومن خالفك فهو كافر. واللهِ لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل ما قلت لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

قال "بشر": قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾.

فقلت: لا أعلم أحداً من المؤمنين إلا وهو مؤمن بهذا وُيقِرُّ به ويقول إن الله جعله عربياً، فأي شيء في هذا من الحجة والدليل على خلقه! فقال بشر: هل في الخلق أحد يشك في هذا أو يخالف عليه، أن معنى (جعلناه) خلقناه.

قال: فقلت: ياأمير المؤمنين ذهب نص التنزيل الذي ادعاه أنه يأتي به، ورجعنا إلى معناه وتأويله. قال "بشر": ما هذا إلا نص التنزيل، وما هذا بتأويل ولا بتفسير.

قال: فأقبلت على "المأمون" فقلت: ياأمير المؤمنين إن القرآن نزل بلسانك ولسان قومك، وأنت أعلم أهل الأرض بلغة قومك ولغة العرب كلها، ومعاني كلامها: و"بشر" رجل من أبناء العَجم يتأول كتاب الله تعالى على غير ما أنزل، غير ما عناه الله عز وجل ويحرفه عن مواضعه، ويبدل معانيه، ويقول ما تنكره العرب وكلامها ولغاتها، وأنت أعلم

خلق الله بذلك، وإنما يكفر "بشر" الناس، ويستبيح دماءهم بتأويل لا بتنزيل، فجعل "بشر" يقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ يروغ "عبد العزيز" إلى الكلام والخطب والاستعانة بأمير المؤمنين لينقطع المجلس، قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ثم ضرب "بشر" يده على فخذه وغمز وقال: قد أتيتك بما لا تقدر على رده، ولا التشبيه فيه لينقطع المجلس بثبات الحجة عليك، وإيجاب العقوبة لك، فإن كان عندك شيء فتكلم به وإلا فقد قطع الله مقالتك، وأدحض حجتك - وجعل يصيح ويقول: فرّحناك أولَ المجلس وأطمعناك حتى استطلت فى الكلام وتفرعت وتوهمت أنك قد قدرت على ما أردت، فأين كلامك؟ وأين احتجاجك؟ حصل ما أخرسك وذهب بعقلك، وأباح دمك، قال الله عز وجل ﴿فَلَمَّا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ قال اشتعل قلبى بقلبك، والفكر فى ذلك.

قال "عبد العزيز": فأقبل "المأمون" علىّ فقال: يا "عبد العزيز" مالك قد أمسكت فلا تتكلم! أجبه إن كان عندك جواب لمسألته.

قلت: ليس يدعنى أجيبه ولا أكلمه من ضجيجه وجلَبته كأنه قد جاء بحجة، فإن سكت تكلمت وأجبته، وكسرت قوله، وأدحضت حجته بإذن الله، وإن كان غايته أن يهذى ويصيح ويروج الكلام تركته، وأمير المؤمنين أعلى عيناً بما يراه. فصاح به "المأمون": أمسك واسمع من الرجل جواب ما سألته عنه، ودع عنك الهذيان وأقبل "المأمون" علىّ فقال: تكلم يا "عبد العزيز" بما تريد.

فقلت: ياأمير المؤمنين، ما خفى عليك ما جرى اليوم فى مجلسك ولَنِعْمَ الحاكمُ أنت، وجزاك الله عنى وعن رعيتك خيراً، و"بشر" يؤول

الشيء على ما يخطر بباله بغير علم ولا حقيقة لقوله، فإن رأى أمير المؤمنين أن يتحفظ علينا ألفاظنا، وما يجرى بيننا فى هذه المسألة ويشهد علينا بما نقول من الكتاب أو السنة فعل، فقال أمير المؤمنين: أنا أفعل ذلك منذ اليوم حتى لو احتيج إلى إعادة ما مضى لأعدته عليكما.

فأقبلت على "بشر" فقلت: يا "بشر" أخبرنى عن «جعل» هذا الحرف لحكم لا يحتمل غير الخلق؟ قال: لا، وما بين جعل وخلق عندى فرق، ولا عند أحد غيرى من سائر الناس من العرب ولا من العجم، ولا يتعارف الناس إلا هذا.

قلت "لبشر": أخبرنى عن نفسك، ودع ذكر العرب وسائر الناس، فأنا من الناس ومن الخلق ومن العرب، وأنا أخالفك على هذا، وكذلك سائر العرب يخالفونك. قال "بشر": هذه دعوى منك على العرب، وكل العرب والعجم يقولون ما قلت أنا، وما يخالف فى هذا غيرك.

فقلت: أخبرنى يا "بشر" إجماع العرب والعجم بزعمك أن (جعل وخلق) واحد لا فرق بينهما فى هذا الحرف وحده، أو فى سائر ما فى القرآن من (جعل). قال "بشر": بل ما فى سائر القرآن من جعل، وسائر ما فى الكلام والأخبار والأشعار.

فقلت: قد حفظ عليك أمير المؤمنين ما قلت، وشهد به عليك، قال "بشر": أنا أعيد عليك هذا القول متى شئت ولا أرجع عنه ولا أخالفه.

فقلت "لبشر": زعمت أن معنى جعلناه خلقناه قرآنا عربياً؟ قال: نعم هكذا قلت، وهكذا أقول أبداً، فقلت له: أخبرنى. تفرد الله بخلق القرآن أو شاركه فى خلقه أحد غيره؟ فقال: بل الله تفرد فى خلقه ولم يشركه فى خلقه أحد غيره، فقلت له: أخبرنى عمن قال بعض ولد آدم

خلق القـرآن من دون الله أومؤمن هو أم كافـر؟ قال"بشـر": كافـر حلال الدم ، فقلت : صدقت إنه كافر حلال الدم .

قلت : فأخـبرنى عمن قال التـوراة خلقتها اليهود من دون الله عز وجل أمؤمن هو أم كافر؟ قال : بل كافر حلال الدم . قلت : صدقت إنه كافـر حلال الـدم بإجمـاع الأمـة . قلت : فأخبرنى عمن قال إن بنى آدم خَلَق الله ، وأن الله تعـالى أخـبر بذلك فى كتابه أمؤمن هو أم كافر؟ قال بشـر : بل كافـر حلال الـدم . فقلت : يا"بشـر"، الله خالق الخلق كلهم ؟ قال : بلى . قلت : فهـل شاركـه فى خلقهم أحـد من خلقـه؟ قال : لا . قلت : صدقت ، فأخبرنى عمن قال إن بنى آدم شاركوه فى خلقه أمؤمن هو أم كافر؟ قال : بل كافر حلال الدم . قلت : صدقت وهكذا أقول أنا أيضاً .

قال"بشـر": فقـد قعدت لتجيبنى إيش هذا مما نحن فيه ، إنما تريد أن تشغلنى حتى يؤذن الظهـر وينقطـع المجلس رجـاء أن تنصـرف منه سالمـاً ، وهـذا مما لا يكـون ، فإن كان عنـدك جواب فقـد انقطع الكلام وإيش هذه الخرافات والمحنة الباردة؟ هات ما عندك .

فقلت : قال الله عز وجـل : **﴿وَأَوْفُـواْ بِعَهْـدِ اللهِ إِذَا عَاهَـدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ «جَعَلْتُمُ اللهَ» عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾** خلقتم الله عليكم كفيلاً ، لا معنى له عند"بشر"غير ذلك ، ثم قال : من قال هذا فهو كافر حلال الدم فلم يرض"بشر"أن يقول بنو آدم خلقوا الله حتى زعم أن الله قال وشهد لهم فى كتابه؟ ومن قال هذا فقد أعظم الفرية على الله عز وجل وكفر به ، وحل دمه بإجماع الأمة .

وقال الله عز وجل : **﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾** فزعم"بشر"

أن معنى (ولا تجعلوا الله) ولا تخلقوا الله لا معنى له عنده غير ذاك، ثم قال من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة، لأنه حكى أن الله أخبر بمثل هذا.

وقال الله عز وجل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ﴾ فزعم "بشر" أن معنى (ويجعلون لله البنات) يخلقون لله البنات، لا معنى لذلك غير هذا، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم.

فقال "المأمون": ما أقبح هذه المقالة وأعظمها وأشنعها، فحسبك يا "عبد العزيز" فقد صح قولك، وأقر "بشر" بما حكيت عنه، وكفر نفسه من حيث لم يدر، فقلت: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تأذن لى أن أنتزع بآيات بقيت واختصر، قال "المأمون" قل ما شئت.

قلت: قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ فزعم "بشر" أن معنى (جعلوا لله) خلقوا لله أنداداً ثم قال من قال هذا فهو كافر حلال الدم، وقد صدق، إنه من قال هذا فهو كافر حلال الدم، إذ كان قد أخبر بمثل هذا عن الله عز وجل.

وقال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ فزعم "بشر" أن معنى جعلوا خلقوا لله، لا معنى لذلك غير هذا ثم قال من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة إذ حكى الله عز وجل مثل هذا.

وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ فزعم "بشر" أن معنى جعلوا خلقوا، لا معنى لذلك غيره وقد كذّب تعالى "بشراً" فى قوله هذا ونزل الرد بقوله فأخبر عن كفره ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ الآية، فأخبر تعالى عن كفر "بشر" وكذّب قوله، ونفاه عن نفسه.

وقال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ الآية. فزعم "بشر" أن معنى جعلا له خلقا له شركاء، لا معنى له غير ذلك عنده، ثم قال من قال هذا فهو كافر حلال الدم، وقد صدق من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة.

ومثله ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثاً أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ وأمثال هذا فى القرآن يطول ذكره مما يدل على كفر "بشر" وإحلال دمه.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ فزعم "بشر" أن المقتسمين خلقوا القرآن، لا معنى له عنده غيره فصار القرآن عنده مخلوقاً بخلق المقتسمين له لا بخلق الرحمن، ثم قال من قال هذا فهو كافر وحل دمه وقد صدق أن من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ فزعم "بشر" أن اليهود خلقت التوراة، ثم قال من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة وقد صدق.

قال "عبد العزيز": فأقبل "المأمون" علىّ وقال: حسبك يا "عبد العزيز" فقد أقر "بشر" على نفسه بالكفر وإحلال الدم وأشهدنى على نفسه بذلك وقد صدقت فيما قلته، ولكنه قال ما قال وهو لا يعقل ولا يعلم ما عليه فيه.

فقلت: إنما خاطبت أمير المؤمنين وأستشهده على ما حصل فى يدى، وأقر به "بشر" وأشهد به على نفسه، وعلمت أن أمير المؤمنين قد حفظ عليه كلامه وألفاظه، ولولا ذلك ما اجترأت على أن أحكى عنه نكاية وأستشهد به عليه بها فلم أحصها عليه.

فقال المأمون: صدقت ياعبد العزيز. ثم أقبل المأمون على وقال: تكلم ياعبد العزيز في بيان هذا، في ذكر «جعل وخلق» الذى فى القرآن، وفرّق ما بين جعل وخلق، واشرح ذلك ليقف عليه من يحضرنا ويعرفه.

قلت: نعم ياأمير المؤمنين ولكن إن رأيت أنك تأذن لى فأقول قبل البيان والشرح أشياء فى هذا المعنى مما أكسر به قول بشر وأدحض به حجته، وأكسر مذهبه، وأبطل بها اعتقاده، فقال: قل ولا تُطِل، إنما هو شيء أدرسه درساً.

قال: فقلت: قال الله عز وجل ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومَاً مَخْذُولاً﴾ وقال فى موضع آخر لنبيه عليه السلام ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ﴾ فزعم بشر أن الله قال لنبيه: ولا تخلق مع الله إلهاً آخر، فلا أعظم قولاً من هذا ولا أشنع. وقال الله عز وجل لنبيه ﷺ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ فزعم بشر أن الله قال لنبيه ولا تخلق يدك والله خلقه خلقاً تاماً مستوياً وزعم أن الله بعثه رسولاً وليس له يد، ثم خاطبه بعد الرسالة بهذا الخطاب.

فمن أقبح قولاً وأفحش ممن قال هذا؟

وقال الله عز وجل فى قصة موسى وفرعون وقوله لموسى: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ فزعم بشر أن فرعون قال لموسى وقد بعثه الله رسولاً (لأخلقنك) فأى قول أقبح من هذا؟

وقال فى قصة موسى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فزعم بشر أن الله تعالى وعد أم موسى أن يرده إليها، ويخلقه من المرسلين، والله تعالى أمرها بعد خلقه وولادته ورضاعه أن تلقيه فى

اليَمّ، ووعدها أن يرده إليها بعد أن تلقيه وهو غير مخلوق.

وقال الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ﴾ فزعم "بشر" أن الله تعالى قال لعباده: ولا تخلقوا دعاء الرسول.

وقال: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ فوعد بعد خلقهم، فزعم "بشر" أن الله وعدهم أن يمن عليهم ويخلقهم.

وقال الله عز وجل: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ وإنما خاطبه بالخلافة بعد أن خلقه وبعد أن جاهد فى سبيله وقاتل أعداءه، وقتل جالوت، فزعم "بشر" أن الله عز وجل قال إنا خلقناك خليفة فى الأرض.

وقال الله عز وجل عن "إبراهيم" و"إسماعيل": ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ فأخبر أنهما دعوا ربهما وهما مخلوقان، ما أقبح هذا القول، وقال الله عز وجل: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ فأخبر أنه ما جعل ذلك كذلك تكذيباً لمن جعل ذلك. وزعم "بشر" أن الله تعالى ما خلق البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وإنما خلقها الكافر من دون الله عز وجل. ومن قال هذا فقد كفر بالله تعالى.

فقال "المأمون": حسبك فقد ثبتت حجتك فى هذه كلها كما فى المسألة الأولى وانكسر قول "بشر" وبطلت دعواه، فارجع إلى بيان ما قد انتزعت وشرحه ومعانيه وما أراد الله عز وجل به وما هو من جعل مخلوق، وما هو غير مخلوق، وما تتعامل به العرب فى لغاتهم، وفرّق ما بين هذا وهذا.

قال "عبد العزيز": فقلت ياأمير المؤمنين إن «جعل» فى كتاب الله يحتمل عند العرب معنيين، معنى خلق، ومعنى صيّر، فلما كان خلق

خلقاً محكماً لا يحتمل غير المخلوقين، فكان من صنعة الخالق لم يتعبد الله به العباد فيقول اخلقوا ولا تخلقوا إذا كان الخلق ليس من صناعة المخلوقين وإنما هو من فعل الخالق.

ولما كان جعل يحتمل معنيين، معنى خلق ومعنى صيرَّ، لم يدع الله فى ذلك اشتباهاً على خلقه فيلحد الملحدون ويشبه المشبهون على خلقه، كما فعل "بشر" وأصحابه حتى جعل الله عز وجل على كل من الكلمتين علَماً ودليلاً فرّق به بين جعل، الذى بمعنى خلق، وجعل الذى بمعنى صيرَّ.

فأما جعل الذى هو على معنى خلق، فإن الله عز وجل جعله من القول المفصل، فأنزل القرآن به مفصّلاً، وهو بيِّن لقوم يفقهون، والقول المفصّل يستغنى السامع إذ أخبر به عن أن توصل له الكلمة بغيرها من الكلام، إذ كانت قائمة بذاتها على معناها، فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾ فسواء عند العرب قال جعل أو قال خلق، لأنها قد علمت أنه أراد بها خلق لأنه أنزله من القول المفصّل، وقال: ﴿**وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً**﴾ فقالت العرب إن معنى هذا: وخلق لكم، إذ كان قولاً مفصّلاً، وقال: ﴿**وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ**﴾ فعقلت العرب عنه أنه عنى خلق لكم إذ كان من القول المفصل فسواء قال خلق أو جعل.

وأما جعل الذى هو على معنى التصيير لا معنى الخلق فإن الله عز وجل أنزله من القول الموصل الذى لا يدرى المخاطب به حتى يصل الكلمة بكلمة بعدها فيعلم ما أراد بها، وإن تركها مفصولة لم يصلها بغيرها من الكلام لم يفهم السامع لها ما يعنى بها، ولم يقف على ما أراد

بها، فمن ذلك قوله عز وجل: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ فلو قال: «إنا جعلناك» ولم يصلها بخليفة فى الأرض، لم يعقل داود ما خاطبه به عز وجل، لأنه خاطبه وهو مخلوق، فلما وصلها بخليفة، عقل داود ما أراد بخطابه.

وكذلك حين قال لأم موسى: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فلو لم يصل «جاعلوه» بـ «المرسلين» لم تعقل أم موسى ما عنى الله عز وجل بقوله وجاعلوه إذ كان خلق "موسى" متقدماً لرده إليها، فلما وصل جاعلوه بالمرسلين عقلت أم موسى ما أراد الله عز وجل بخطابها، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ فلو لم يقل «دكا» لم يعقل أحد ما أراد بقوله هذا، إذ كان خلق الجبل متقدماً قبل أن يتجلى له فلما وصله بذلك عقل السامع ما أراد بقوله.

وكذلك قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ فلو لم يصل اجعلنا بـ «مسلمين. لك لم يعقل السامع لهذا الدعاء ما أرادا بقولهما «واجعلنا» فلما وصله بمسلمين لك عقل السامع ما أرادا بدعوتهما، وكذلك قول "إبراهيم": ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ فلو لم يصل البلد بآمناً لم يعقل أحد ممن سمع دعاءه ما عنى به وما أراد إذ كان البلد قد خلق متقدماً لخلق "إبراهيم". فلما وصل البلد بآمناً عقل السامع ما أراد به وما عنى.

ومثل هذا كثير فى القرآن ياأمير المؤمنين، والذى تعرف العرب التعامل به فى لغاتها وخطابها ومعانى كلامها ومخارج ألفاظها هو الذى جرت عليه سنة الله عز وجل فى كتابه، إذ كان إنما أنزل القرآن بلسانها والتف على بنيانها، فخاطبهم الله عز وجل بما عقلوه وعرفوه ولم ينكروه. وهذا القول المفصل والموصل. فأرجع أنا و"بشر" ياأمير المؤمنين فيما

اختلفنا فيه من قول الله عز وجل ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ إلى سنة الله فى كتابه فى الجعلين جميعاً وإلى سنة العرب أيضاً مما تتعارفه وتتعامل به .
فإن كان من القول الموصل فهو كما قلت:إن الله جعله قرآناً عربياً أى صيَّره قرآنا عربياً وأنزله بلغة العرب ولسانها، ولم يصيره أعجمياً فيبين له بلغة العجم، وإن كان من القول المفصل فهو كما قال "بشر" إن الله خلقه قرآناً عربياً ولم تجد ذلك أبداً، وإنما دخل الجهل ياأمير المؤمنين على "بشر" ومن قال بقوله، لأنهم ليسوا من العرب ولا عِلْمَ لهم بلغة العرب ومعانى كلامها، فتأول القرآن على لغة العجم التى لا تفقه ما تقول، وأنها تتكلم بالشىء كما يجرى على لسانها، وكل كلامهم ينقض بعضه بعضاً، ولا يعتقدون ذلك من أنفسهم ولا يعتقده عليهم غيرهم لكثرة خطئهم ولحنهم وادعائهم لذلك.

وسمعت "عبد الملك بن قريب الأصمعى" وقد سأله رجل فقال له : أتدغم الفاء فى الباء؟ فتبسّم "الأصمعى" وقبض على يدى - وكان لى إلفاً صديقًا - فقال أما تسمع ياأبا محمد؟ ثم أقبل على السائل وهو متعجب من مسألته فقال:ياهذا أتدغم الفاء فى الباء فى لغة أخرى مانى الساسانى يقولون(1) فيدغمون الفاء فى الباء، فأما العرب فلا تعرف هذا.

قال "عبد العزيز": فاشتد تبسّم "المأمون" من قول "الأصمعى" ووضع يده على فيه. فقلت: وهذا الذى يأتينا به "بشر" من لغة أصحاب مانى الساسانى.

فقال "بشر": ياأمير المؤمنين يذمنا ويكفرنا ويقول إنا نحرف القرآن عن مواضعه، وقد وضع من شأن القرآن وقدره، وسماه بأنقص الأسماء،

---

(1) كذا بياض بالأصل.

ووصفه بأخس الصفات وأقلها ، لأن الله عز وجل سماه كتاباً عربياً ، وسماه كريماً ، فأخبر عنه أنه تام كامل بقوله : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وسماه "عبد العزيز" موصلاً ومفصلاً ، فخالف كتاب الله وضعفه ، وذم ما مدح الله ، لأن الموصل عند العرب والعجم وسائر الخلق دون التام الصحيح الكامل ، إذ كان الموصل عندهم جميعاً هو الملصق الذى وصل بعضه ببعض ، ولفّق بعضه ببعض ، فإذا أراد الرجل من العرب وغيرهم أن يضع من قدر الشيء قال هو موَصّل ملفّق وليس هو صحيحا وإن قطع الثوب قيل مفصّل مقطع ، فسمى "عبد العزيز" كتاب الله اسماً ناقصاً ذميماً ، وقال إثماً وبهتاناً عظيماً ولو قلت أنا هذا أو ما دونه لخطب وصاح وجلب واستغاث بأمير المؤمنين ، وأخرجنى عن الإسلام ، وهو يقول العظائم اليوم وأمير المؤمنين يحلم عليه ، وهو يبغى لحلمه عليه .

فقال "عبد العزيز" : فقلت "لبشر" : وهذا أيضاً من جهلك لما فى كتاب الله . تذمنى وتزعم أنى سميت كلام الله ناقصاً ، وتغرى بى أمير المؤمنين وهو أعلم خلق الله بما قلته وأوضحته ، وما قلت إلا ما قال الله عز وجل ، وما نسبت إلى كتاب الله إلا ما نسبه إليه وارتضاه له ، وهو عند العرب الفصحاء كلام جيد صحيح مرتضىً ، وأنت تزعم أن كلام الله الذى هو من ذاته مخلوق ، وتشبهه بكلام المخلوقين مثل الشعر أو قول الزور وغيره ، وتنكر عليّ أن سميته بما سماه الله عز وجل به . قال "بشر" : وأين سمّاه موصّلاً ومفصّلاً؟ قلت : فى كتابه من حيث لا تعلمه أنت ولا تفهمه . قال : فاذكر ذلك .

قال "عبد العزيز" : قلت : قال الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ وهو تسمية الله لقوله وتسميته لكلامه بنص

التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير. وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ فامتدحهم بصلة ما يوصل، وأثنىٰ عليهم فى غير آية، ووعدهم على ذلك أحسن عِدَةٍ وهى الجنة فقال: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ الآية. فهذه مدحة الله وهذا ثناء الله، وهذا جزاء الله لمن وصل ما وصل الله. ولقد ذم الله عز وجل من قطع ما أمر الله به عز وجل أن يوصل ولعنهم وجعلهم من الخاسرين فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ يعنى النار، وقال فى موضع آخر ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وهذا ذمٌّ من الله عز وجل لمن قطع ما أمر الله بصلته، وهذا وعيد الله ولعنته لهم.

ثم ذكر المفصّل فى كتابه فقال: ﴿الر، كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ وقال: ﴿حم، تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ وقال: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ فهذا قول الله عز وجل، وهذا تسمية الله لكتابه، وهذا نسبة الله عز وجل لقوله، واختياره لنفسه، وهو ما ارتضاه الله ورضيه من قائليه.

ثم أقبلت على "المأمون" فقلت: يا أمير المؤمنين يزعم "بشر" أنى سميت كتاب الله اسماً ناقصاً خسيساً، وأنّى أتيت فى ذلك بهتاناً عظيماً، وإثماً كبيراً، وأن العرب والعجم تنكر ما قلت، وأمير المؤمنين ثبت اللغة وأعلم خلق الله بكلام العرب، وما قلت إلا ما قال الله واختاره، وارتضاه لكلامه، وما تختاره العرب لكلامها وتسميه به فتقول مفصلاً وموصلاً.

فقال المأمون: ما قلت منذ اليوم إلا ما تقوله العرب وتتعامل به وتعرفه، وما خرجت عن مذهب العرب، ولو عدلت من ذلك ما سوغتك الكذب عليها.

قال عبد العزيز: الله أكبر، الله أكبر، كذب بشر ورب الكعبة بشهادة أمير المؤمنين، أفلحتُ وربِّ الكعبة وظهر أمر الله وهم كارهون.

فقال بشر: أَوَعَلَىٰ الخلق أن يتعلموا لغات العرب؟ ما تعبّد الله الخلق بهذا ولا أمرنا به، وكل إنسان يتكلم بما علمه الله، وما كلف الله الخلق فوق طاقتهم ولا طالب أولاد العجم بلغة العرب.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: فكلّف الله الخلق أن يتكلموا بما لا يعلمون؟ ادعيت العلم، وتكلمت فى القرآن، وتأولت كتاب الله على غير ما عناه الله عز وجل، ودعوت الخلق إلى اتباعك، وكفّرت أتباعك وكفّرت من خالفك وأبحت دمه، والله عز وجل قد نهى الخلق جميعاً فلم يتجاسر منهم أحد أن يقولوا ما لا يعلمون. فقال للنبى ﷺ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ وقال لنوح: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّيَ أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ وقال نوح معتذراً إلى ربه معترفاً بخطيئته: ﴿رَبِّ إِنِّيَ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الآية بأسرها. فأخبر الله عز وجل أن من فى قلبه زيغ يتبع ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فذمهم بهذا وأخبر بذم فعلهم وطريقهم الذى سلكوه.

فقال بشر: اخطب حتى تشبع من الكلام ثم أخاطبك.

قال عبد العزيز: فقلت ياأمير المؤمنين إن بشراً قد تحير فى

ضلالته، وعمى عن رشده، وبانت فضيحته، وبطل قوله ومذهبه.

فقال "بشر": أخبرني ياعبد العزيز تعبّد اللهُ الخلق بأن يعرفوا الموصّل والمفصّل؟ وما يضر الخلق أن لا يعلموا ذلك ولا يعرفوه؟

فقال "المأمون": رجعنا إلى الكلام الأول، قد مضى هذا، وانقطع الكلام فيه، فاخرج منه إلى غيره. فقال "بشر": قد شغلنى بكلامه وخطبه عن الكلام الأول، وأنسانى ما أحتاج إليه.

فقلت: ياأمير المؤمنين: أرأيت أن تأذن لى حتى أجيبه عن قوله. قال: افعل. فقلت: يا"بشر" نعم قد تعبّد الله الخلق بأن يعرفوا هذا ويتعلموه لئلا يصلوا ما لم يوصِلِ الله ويقطعوا ما وصل الله عز وجل؟

قال بشر: ائت بحجة ودليل لما قلت.

فقلت: أما سمعت ما قرأت عليك من كتاب الله عز وجل، وما تلوت من الآيات المحكمات فى وصل ما أمر الله أن يوصل، وقطع ما أمر الله أن يقطع، وما وعد الله تعالى هؤلاء من حسن الثواب وعقبى الدار، وما وعد هؤلاء من اللعنة والعذاب وسوء الدار.

قال "بشر": دع ذكر ما مضى فما لك فيه حجة واحتج الساعة بشىء أفهمه.

فقلت له: صدقت إنك ما فهمت ما مضى. وكيف تفهمه وقد مُنِعْتَ من فهمه؟ فقلت: ياأمير المؤمنين إن فى بعض ما مضى لكفاية وبلاغاً، و"بشر" يزعم أنه لم يفهم شيئاً مما مضى وأنا أتكلم فى ذكر المفصّل والموصّل من القرآن، وأحتج للعرب فى صحة لغاتهم ومذاهبهم، فقال "المأمون": إذا كان لا يفهم ما مضى فكذلك لا يفهم ما يأتى بعد إعادة ما مضى، وظهرت لك فيه الحجة، فإن هذا وقت الزوال، فقلت: ياأمير

المؤمنين إن تأذن لى حتى أتكلم بشىء لم أتكلم به فى هذا المعنى لأقيم به الحجة على "بشر" وأرجو أن يستحسنه أمير المؤمنين من غير إطالة الكلام، فقال: تكلم وأوجز.

قال: فأقبلت على "بشر" فقلت زعمت أن الله تعالى لم يتعبد الخلق بمعرفة الموصّل والمفصّل؟ فقال: نعم هذا شىء لم يتعبّد الله الخلق به. فقلت: أخبرنى عمن قال من لم يتعبد الله الخلق بمعرفة شىء من هذا أو غيره أو زاد فيه أو نقص كان كافراً يكون صادقاً أم كاذباً؟ فقال بل كاذباً، وإنما أقول إن كل شىء إذا زيد فيه أو نقص منه أو غُيِّر عما كان عليه، كان فاعل ذلك كافراً، لأن الله عز وجل قد تعبّد الخلق بمعرفته وعلمه. قلت: فأفتنى وأجب نفسك عنى، وأقرّ بما أنكرت، فقال "بشر": دع التشبث عنك وأجب، ودع الكلام وأقم الشاهد والدليل على ما تقول.

قال "عبد العزيز" رحمه الله تعالى: فأقبلت على "المأمون" فقلت: قال الله عز وجل: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَآئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ**﴾ فإن قال رجل: شهد الله أنه لا إله ــ وقطع الكلام والصلة عامداً كان كافراً بإجماع الأمة، لأنه يزعم أنه شهد الله أن لا إله، وشهدت الملائكة وأولو العلم أن لا إله، فمن قال هذا عامداً كان كافراً حلال الدم، لأنه أعظمَ الفريةَ على الله تعالى، وأبطل الربوبية وجحد أن يكون الله إلهاً وأشهد الله والملائكة وأولى العلم على كذبه، وإذا وصل الكلمة كما وصلها الله تعالى فقال: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَآئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ**﴾ كان صادقاً وكان قد قالها كما قال الله عز وجل وكما شهد به لنفسه وشهد به الملائكة وأولو العلم.

وكذلك قوله ﴿**اللهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ ومثله فى القرآن كثير

فى أربعين موضعاً من التهليل على هذا المعنى ــ من فصل شيئاً من ذلك عن صلته عامداً كان كافراً حتى يصله كما وصله الله ، وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحِيى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ فلو قال رجل إن الله لا يستحيى ــ وقطع الصلة عامداً كان كافراً حلال الدم حتى يصل الأول بالثانى كما وصله الله عز وجل ، وقال الله عز وجل : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ فلو قال قائل : وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها ــ وقطع الصلة عامداً كان كافراً ، لأنه زعم أن الله تعالى لا يعلم الغيب ، ومن زعم هذا فقد رد ما اختاره الله وقول الله وشهادته لنفسه بعلم الغيب فهو كافر بإجماع الأمة ، فإذا وصل فقال : ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ كان صادقاً ، وكان قد قال كما قال الله ، ووصل ما أمر الله به أن يوصل .

فقال المأمون : أحسنت أحسنت يا عبد العزيز . فقلت : ومثل هذا في القرآن كثير ، فقال يجزيك من ذلك آية واحدة .

فقلت لبشر : اسمع باقى مسألتك . قال : قل .

قلت : وأما المفصّل الذى لا تجوز صلته فهو قول الله عز وجل : ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ﴾ فمن قال وقطع الكلام عامداً فهو كافر حلال الدم ، لأنه زعم أن لله مثل السوء ، شبّه الله عز وجل بالذين لا يؤمنون بالآخرة فأدخله معهم فى المثل السوء ، فلو وقف على مثل السوء وقطع الكلام كان كما قال الله ، وفصل ما فصل الله ولم يصل ما قطعه الله منه ، ثم قال الله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ﴾ وههنا الكلام تام عند القراء ثم يبتدىء ويقول ﴿وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ فلو قرأ قارىء ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللهِ﴾ وأراد أن الله أخبر بذلك . فمن قال هذا فقد أعظم الفرية على الله

تعالى ، وادعى على الله الكذب ووصل ما فصله الله ، وإذا قرأ رجل ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ﴾ وقطع ثم ابتدأ فقال وكلمة الله هى العليا ــ كان قد قرأ كما قال الله ، وفصل ما فصل الله .

فأقبل علىّ "المأمون" . وقال : أحسنت يا "عبد العزيز" وبلغت ، فلا يحتاج إلى زيادة . فقلت : ياأمير المؤمنين مثل هذا فى القرآن كثير فقال يجزيك من ذلك آية واحدة .

ثم أقبل "المأمون" على "بشر" فقال : يا "بشر" هل عندك شىء فتسأل "عبد العزيز" عنه أو تحتج به عليه ، فقد ظهرت حجته عليك بالمسألتين جميعاً ، وصح قوله وصح ما ادعاه . فقال "بشر" : ياأمير المؤمنين هذا يريد نص القرآن لكل شىء يتكلم به ، وهذا مما لايقدر عليه ، لأنه ليس كل ما يتكلم به الناس مما يحتاجون إليه من علم أديانهم يوجد فى كتاب الله بنص التنزيل ، وإنما يوجد فيه بالتأويل .

فقال "عبد العزيز" : ياأمير المؤمنين كل ما يتكلم به الناس مما يحتاجون إليه من علم أديانهم ويتنازعون فيه منها فهو موجود فى القرآن لقوله عز وجل : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ﴾ فأخبر الله عز وجل أنه ما فرط فى الكتاب من شىء ، فعقل ذلك من عقله وجهله من جهله .

قال : فجثى "محمد بن الجهم" على ركبتيه وقال : يا "عبد العزيز" تزعم أن ما من شىء يتكلم به الناس ويتنازعون فيه ويحتاجون إلى معرفته إلا وعلمه موجود بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير ؟ . قلت : نعم قلت وهكذا أقول ، فسل عما شئت حتى أجيبك عليه من القرآن بنص التنزيل ، فوضع "محمد" يده على حصير مديبقى مبسوط فى الإيوان فقال أوجدنى أن هذا الحصير مخلوق بنص القرآن . فقلت : علىّ أن أوجد ذلك بنص التنزيل .

ثم أقبلت عليـه فقلت: أخـبرني عن هذا أليس هو من سعف النخـل وجلود الأنعـام؟ قال: نعم. فقلت: وهـل فيـه شيء غير هذا؟ قال: بل فيـه صنـاعة الإنسان الذي يعمله حتى صار حصيراً. فقلت: قال الله تعـالى في النخـل: ﴿أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ فهـو نص بخلق النخـل والسعف، وأمـا الجلود فقـال الله تعـالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ﴾ وهـذا خلق الجلود، وأما الصـانـع فقـال الله عز وجـل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ فهـذا خلق الصـانـع، فصار الحصير مخلوقاً بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير فهل عندك مثل هذا لخلق القرآن ما تذكره أو تحتج به وإلا فقد بطل ما تدعونه من خلقه، وصح ولم يزل صحيحاً أن القرآن كلام الله غير مخلوق من كل جهة، وعلى أي جهة تصرفت.

فصاح المأمون: يامحمد بن الجهم، خلِّ بين الرجل وبين صاحبه وإيـاك والمعـارضـة. ثم أقبـل المأمـون على بشر فقال: هل عندك شيء تنـاظـره قبـل أن نصـرفـه ونقوم فقد طال المجلس وصُلِّيَت الظهر؟ فقال بشر: ياأمير المؤمنين عندي أشياء كثيرة إلا أنه يقول بنص التنزيل، وأنا أقـول بالنظر والقياس، فليدع مناظرتي بنص التنزيل وليناظرني بغيره، فإن لم يدع قوله ويرجع عنه، ويقول بقولي، ويقول بخلق القرآن الساعة فدمي لك حلال.

فقال المأمون: تقول لرجل يناظرني بالكتاب والسنة دعهما واخرج إلى النظر والقياس؟ هذا ما لا يجوز.

قال عبد العزيز: فقلت: ياأمير المؤمنين إن رأيتَ أن تأذن لي أن أناظره كما سأل ولا أحتج عليه بآية من كتاب الله، ولا سنة رسوله، ولكن على جهة النظر والقياس، ويكون أمير المؤمنين الشاهد علينا والمتحفظ

لألفاظنا، فإن أقام "بشر" على الحجة كما زعم وأقررت بشيء مما قال ورجعت عن قولي فدمي حلال كما قال "بشر". وإن أثبتُّ الحجة على "بشر" من جهة النظر والقياس كما أثبتُّها عليه من الكتاب والسنة، وشهد عليه أمير المؤمنين بذلك فقد حل دمه كما شرط على نفسه.

قال "المأمون": وتفعل ذلك؟ قلت: نعم ياأمير المؤمنين على أن "بشراً" يجيبني عن كل ما سألته عنه ولا يحيد عن جوابي كما فعل في الأول. فقال "بشر": نعم على أن أجيبك عن كل شيء سألتني عنه، ولا أحيد عنه.

قال "عبد العزيز": تسألني أم أسألك؟ قال: اسأل أنت، وطمع فيَّ هو وأصحابه، وظنوا أني إن خرجت عن الكتاب والسنة لم أحسن أن أتكلم بغيرهما، فقلت يا "بشر" إن الله خلق كلامه؟ قال: أنا أقول إن الله خلق القرآن.

قلت له: يلزمك في قولك هذا واحدة من ثلاث أن تقول إن الله خلق كلامه في نفسه، أو خلقه في غيره، أو خلقه قائماً بنفسه وذاته؟ فقل ما عندك.

فقال "بشر": أنا أقول إنه مخلوق وأنه خلقه كما خلق الأشياء كلها.

قال "عبد العزيز": تركنا الكتاب والسنة عند هرب "بشر" عنهما، وناظرته بالقياس والنظر لما ادعاه وذكر أنه يحسنه، ويقيم عليّ الحجة حتى أرجع عن قولي، وأقر معه بخلق القرآن، وشرط على نفسه إجابتي عما أسأله عنه ولا يحيد عن الجواب، وقد مال "بشر" إلى الحَيدة ونقض ما شرط على نفسه، وأمير المؤمنين الشاهد عليه وهو أعلى عيناً فيما يراه من قطع المجلس وصرفي، فإن "بشراً" إنما يحسن أن يناظر من لا

يفهم ولا يدرى ما يقول، فأما من لا يدعه يخلص كلمة واحدة فلا يقدر على مناظرته.

فقال له "المأمون": أجب "عبد العزيز" عما سألك عنه، فقد ترك قوله ومذهبه وخرج عنه إلى ما ادعيت فهمه ومعرفته، فلا تحِد عن جوابه، فقال "بشر": قد أجبته ولكنه يتعنت.

فقال "المأمون": يأبى عليك "عبد العزيز" إلا أن تجيبه عما سألك عنه. فقال "بشر": ما عندى جواب غير ما أجبته به.

فأقبل "المأمون" علىّ فقال: قد حاد "بشر" عن جوابك، فتكلم أنت يا "عبد العزيز" فى شرح هذه المسألة وبيانها، وما على "بشر" فيها لو أجابك عنها ليقف من يحضرنا على ذلك.

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، سألت بشراً عن كلام الله، مخلوق هو؟ فقال: نعم، قلت له يلزمك واحدة من ثلاث لابد منها، أن تقول إن الله عز وجل خلق كلامه فى نفسه، أو خلقه فى غيره، أو خلقه قائماً بنفسه وذاته.

فإن قال: إن الله خلق كلامه فى نفسه، فهذا محال باطل لا يجد السبيل إلى القول به من قياس ولا نظر ولا معقول، لأن الله لا يكون مكاناً للحوادث، ولا يكون فيه شىء مخلوق ولا يكون ناقصاً فيزيد بشىء إذا خلقه. ومن قال هذا فقد كفر بالله العظيم وحل دمه. وإن قال خلق كلامه فى غيره، فهذا أيضاً محال باطل لا يجد السبيل إلى القول به من قياس ولا نظر ولا معقول لظهور الشناعة والكفر من قِبَلِه، لأنه يلزم قائل هذه المقالة فى القياس والنظر والمعقول أن يجعل كل كلام خلقه الله فى غيره هو كلام الله، فيجعل الشعر وقول الزور والفحش والخنا، وكل

كلام ذمه الله ذم قائليه من كلام الكفر والسحر وغيره لله، تعالى الله عن ذلك.

وإن قال خلق كلامه قائماً بنفسه وذاته، فهذا هو المحال الباطل الـذى لا يجد السبيل إلى القول به من قياس ولا نظر ولا معقول لأنه لا يكون الكلام إلا من متكلم كما لا تكون الإرادة إلا من مريد، ولا العلم إلا من عالم، ولا القدرة إلا من قدير.

ولا رؤى، ولا يُرى أبداً كلام قائم بنفسه متكلم بذاته، وهذا ما لايعقل ولا يعرف ولا يثبت من قياس ولا نظر ولا غيره فلما استحال القرآن أن يكون مخلوقاً من هذه الجهات ثبت أنه صفة لله عز وجل، وصفات الله عز وجل غير مخلوقة، فيبطل قول "بشر" من جهة النظر والقياس كما بطل من الكتاب والسنة.

قال "المأمون": أحسنت يا "عبد العزيز".

فقال "بشر": دع هذه المسألة واسأل عن غيرها حتى يخرج بيننا شىء يسمع.

قال "عبد العزيز": فقلت يا "بشر" تقول إن الله كان ولا شىء وكان ولم يفعل شيئاً، وكان ولم يخلق شيئاً؟ قال: نعم هكذا أقول، فقلت: بأى شىء حدثت الأشياء بعد أن لم تكن شيئاً، هل حدثت بنفسها أم الله أحدثها؟ قال "بشر": بل الله أحدثها. فقلت له: بأى شىء أحدثها؟ قال "بشر": بقدرته. قلت: فلست تقول إنه لم يزل قادراً؟ قال: كذلك أقول. قلت: تقول إنه لم يزل يفعل؟ قال: لا أقول هذا. قلت: فلابد أن تقول إنه خلق بالفعل الذى كان عن القدرة، وليس الفعل هو القدرة، لأن القدرة صفة من صفات الله، ولا يقال لصفات الله هى الله ولا هى غير الله، وهذا يلزمك القول به.

قال "بشر": ويلزمك أيضاً أن تقول إنه لم يزل يفعل ويخلق، وإذا قلت ذلك تبيّنا أن المخلوق لم يزل مع الخالق. قال: فقلت لـ"بشر" إنى لم أقل هذا، وليس لك أن تحكم علىّ وتحكى عنى ما لم أقل، وتلزمنى ما لم يلزمنى، إنى لم أقل إنه لم يزل الخالق يخلق، ولم يزل الفاعل يفعل فيلزمنى ما قلت، وإنما قلت لم يزل الفاعل سيفعل، ولم يزل الخالق سيخلق، لأن الفعل صفة الله يقدر عليها ولا يمنعه منها مانع.

قال "بشر": ما أقوله أنه أحدث الأشياء بقدرته، فقل أنت ما شئت.

قال "عبد العزيز": قلت ياأمير المؤمنين قد قال "بشر" إن الله كان ولا شىء وأنه أحدث الأشياء بعد أن لم تكن شيئاً بقدرته، فقلت أنا: أحدثها بأمره وقوله عن قدرته. فقال "المأمون": قد حفظت عليكما قولكما. فقلت: ياأمير المؤمنين لن يخلو أن يكون أول خلق خلقه الله بقول قاله وبإرادة أرادها وبقدرة قدرها.

قال "المأمون": هكذا هو وقد وافقك "بشر" فى القدرة والإرادة وخالفك فى القول - قلت: ياأمير المؤمنين أى ذلك كان فقد تبين أن ههنا إرادة ومريداً، وقولاً وقائلاً ومقولاً له، وقدرة وقديراً ومقدوراً عليه، وذلك كله متقدم قبل الخلق - وما كان متقدماً قبل الخلق فليس هو من الخلق فى شىء - وقد كسرت والله قول "بشر" ودحضت حجته بإقراره بلسانه بالنظر والمعقول ولم يبق إلا القياس، وأنا أكسره بالقياس إن شاء الله تعالى.

فقال "المأمون": هات وأوجز قبل خروج وقت الصلاة.

فقلت: ياأمير المؤمنين لو كان لـ"بشر" غلامان وأنا لا أجد لهما خبراً

من أحدٍ من الناس إلا من "بشر"، ويقال لأحدهما خالد وللآخر يزيد، وكان "بشر" غائباً عنى حيث لا أراه، فكتب إلىّ "بشر" ثمانية عشر كتاباً يقول فى كل كتاب منها: ادفع إلى خالد غلامى هذا الكتاب، وكتب إلىّ أربعة وخمسين كتاباً يقول: ادفع إلى يزيد هذا الكتاب، ولم يقل (غلامى) ثم قدم "بشر" من سفره فقال لى: ألسيت تعلم أن يزيد غلامى؟ فقلت: قد كتبت إلى أربعة وخمسين كتاباً وقلت ادفع هذا الكتاب إلى يزيد ولم تقل غلامى، وكتبت ولم أسمعك تقول غلامى، وأنا لا أجد ذلك إلا منك، ولا أعرف خبره من أحد غيرك. وكتبت إلىّ ثمانية عشر كتاباً ادفع إلى خالد غلامى هذا الكتاب، فعلمت بكتابك أنه غلامك ثم كتبت إلىّ كتابا جمعتهما فيه فقلت ادفع هذا الكتاب إلى خالد غلامى ويزيد ولم تقل غلامى - فمن أين أعلم أن يزيد غلامك ولست أعلم خبرهما من أحد غيرك.

فقال "بشر": فرّطت. فقلت: "بشر" فرط، فحلفت أن "بشراً" فرط، وحلف "بشر" أنى فرطت حيث لم أعلم أن يزيد غلامه من كتبه، فأيُّنا المفرط ياأمير المؤمنين؟

فقال المأمون: "بشر" المفرط.

فقال "بشر": وإيش هذا مما نحن فيه، تريد أن تثبت بهذا السؤال علىّ ما لم يكن، متى كانت هذه المكاتبة وهذا الكلام؟

فقلت: اسمع حتى تقف على ما أردت.

وقلت: ياأمير المؤمنين إن الله عز وجل أخبرنا فى كتابه بخلق الإنسان فى ثمانية عشر موضعاً، ما ذكره فى موضع منها إلا أخبر عن خلقه، وذكر القرآن فى أربعة وخمسين موضعاً فلم يخبر عن خلقه فى موضع منها ولا أشار إليه بشىء من صفات الخلق، ثم جمع بين القرآن

والإنسان فى آية من كتابه فأخبر عن الخلق للإنسان، ونفى الخلق عن القرآن فقال الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ففرّق بين القرآن والإنسان فزعم "بشر" ياأمير المؤمنين أن الله فرط فى الكتاب من شىء، فهذا كسر قول "بشر" بالقياس.

فقال "المأمون": أحسنت يا "عبد العزيز"، ثم أمر لى بعشرة آلاف درهم، فحُمِلَتْ بين يدىّ وانصرفت من مجلسه على أحسن حال وأجملها، قد أعز الله عز وجل دينه وأعز أهله، وأذل أهل الكفر والضلال، فلله الحمد على تسديده وتوفيقه كما هو أهله ومستحقه.

قال "عبد العزيز": فَسُرَّ المسلمون جميعاً بما وهبه الله لهم من إظهار الحق وقمع الباطل، وانكشف عن قلوبهم ما كان اكتنفها من الغم والحزن، وجعل الناس يجيئون إلىّ أفواجاً حتى أغلقت بابى واحتجبت عنهم خوفاً على نفسى وعليهم من مكروه يلحقنا، فقالوا لابد أن تملى علينا ما جرى لنعرفه ونتعلمه، فَهِبْتُ ذلك، وتخوفت سوء عاقبته، فلما ألحوا علىّ قلت أنا أذكر لكم بعض ما جرى مما لا يجوز علىّ فيه شىء ولا حجر فى ذكره، فرضوا بذلك منى فأمليت عليهم أوراقاً مقدار عشر أوراق ونحوها مختصرة لأقطعهم بها عن نفسى ومن ملازمة بابى، ولم يتهيأ لى أن أشرح هذا كله مما تخوفت على نفسى مما قد يلحقنى بعد هذا المجلس وما جرى بسبب الأوراق على الناس وكتبوها عنى فى كتاب غير هذا ـ وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم.

تم والحمد لله

شبهات والجواب عنها

بقلم الأستاذ عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم، لك حمدى وتمجيدى وذلى وخضوعى يا مَنْ خلقتنى مِن العدم، وأنعمت علىّ بما لا أستطيع أداء الشُكر لك عليه، فلك الحمد والثناء الذى أنت أهله، وصلاتى وتسليمى على صفوة الرسل وأكرم الخلق محمد بن عبد الله، اللهم صلّ وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته الطاهرين المطهرين.

وبعد . . فلعل من المناسب تسجيل بعض شبهات وُجِّهَتْ إلىّ بصيغة السؤال، وأن الموضوع الذى تتضمنه هذه الشبهات لا يخرج عن صفات البارى وعلوه تبارك وتعالى، وهوما دارت المناظرة بين الإمام الكِنَانى، والمريسى حوله، ولذا فقد رأيت تسجيلها مع الفارق بين مكانة الإمام الكنانى وعلوقدره وبين كاتب هذه السطور إلا أنى أرجو أن يكون من وراء تدوينها عقب كتاب الحيدة فائدة وخصوصاً فى المحيط العلمى الذي يجمعنى بزملاء باعد بينى وبينهم التخطيط الجغرافى، وجمعتنا بهم وحدة الإسلام ووحدة اللغة العربية ووحدة الهدف. وقد كان لهذه الأسئلة مقدمة لا مانع من ذكرها:

لقد جمعتنى الدراسة بزملاء مصريين وسوريين وعراقيين وهنديين وسودانيين، اجتمعت بهم فى أرض الكنانة وفى ربوع كلية الشريعة الإسلامية.

وبحثى الذى أكتب عنه كان بادىء ذى بدء بينى وبين بعض الأساتذة الأجلاء وبينى وبين بعض الزملاء، ولكنه لا يلبث أن ينسى

مع انتهاء المجلس، إلا هذه المناقشة التى تزعمها زميل لى من أبناء السودان العزيز وليسمح لى إذا قلت إنه من المتحمسين للأشعرية والمهاجمين لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ويبدو أن هذا الزميل لم يقنع بما دار فى المناقشة. فناولنى ورقة مكتوبة تتضمن سبعة أسئلة طلب منى الجواب عليها، وكانت مناولته إياى لهذه الأسئلة أول الدرس، فأخذتها وكانت شغلى الشاغل عن الدرس، وقبل انتهاء الحصة استأذنت من مدرس التفسير أن يسمح لى بتلاوة الجواب على هذه الأسئلة ـ وكان قد سبق له علم ببعض ما دار ـ فوافق على أن يكون باختصار.

وها هو الجواب عن كل سؤال، وإنه لجواب يعلم الله أنه غير وافٍ بالمقصود تماماً، ولم يعط الموضوع حقه كما ينبغى، إذ إن الوقت الذى حررت فيه الجواب لا يبلغ ساعة زمنية، وكفاك أنه حرر أثناء الدرس، ومع اختصاره كما قلت فقد قرأته على مسمع من الجميع فجاء موافقاً حائزاً إعجاب الأستاذ والزملاء والحمد لله.

أما زميلى صاحب الأسئلة فقد طلب منى الجواب ـ وأظنه للرد عليه ـ إلا أنه كمسودة لم أتمكن من تسليمه له آنذاك، ولكنى على يقين من أن الزميل قد خف تحامله وهبط غليانه من ذى قبل وأرجو الله أن يكون قد وفق إلى قراءة شىء من كتب السلف الصالح كتفسير ابن جرير الطبرى عندما ينقل أقوال أئمة التفسير من السلف، ومثل صحيح البخارى ومسلم وابن خزيمة، ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم من أعلام الدين.

فبقراءة هذه الكتب بإنصاف ولطلب الحق والأخذ به ـ تستنير البصيرة ويظهر الحق، وتزول الغشاوة التى علقت بالأفكار من سماع

أقوال المتكلمين والمؤولين، والذين أدخلوا علينا السموم الفتاكة فى الدين والمعتقد وراء ستار مزيف من العلم أو باسم العقيدة الأشعرية، وأن الإمام الأشعرى لبرىء مما ينسب إليه فقد رجع عن ذلك فى أواخر حياته كما هو ثابت فى كتابه «الإبانة عن أصول الديانة» ذلك الكتاب الذى يرد بصراحة كل قول بما ينسب إليه.

والحقيقة التى لا يمكن تجاهلها أن البحث فى ذات الله أو صفاته عز وجل إذا خرج عن ظاهر النصوص لاشك أنه مزلة أقدام وطريق وعر لا سبيل للنجاة منه إلا بالتمسك بالنص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والأخذ بما كان عليه السلف الصالح الذين قال عنهم المعصوم «خَيْرُ أُمَّتِى قَرْنِى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهم» الحديث.

ولا ننسى على ذكر التمسك بنصوص الكتاب والسنة هذه الغلطة التى وقع فيها عالم جليل من علماء الإسلام وهو (ابن حزم) فقد كان رحمه الله إمام أهل الظاهر، وكان من رأيه التمسك بظاهر النصوص من الكتاب والسنة فى الأحكام والفروع، وما كان أجدره أن يأخذ به فى صفات الله عز وجل، ولكن واأسفاه تمسك بالظاهر حيث لا يجب وتخلى عنه فى الصفات حيث هو واجب.

فمن غلطه ما ذكره فى كتابه فى الملل والنحل (ص ٩٨ ج ٢ طبعة عبد الرحمن خليفة) فقد ذكر أقوال الخلف فى الاستواء ثم قال: (والقول الرابع) فى معنى الاستواء هو أن معنى قوله تعالى: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ أنه فعل فعله فى العرش وهو انتهاء خلقه إليه، فليس بعد العرش شىء، ويبين ذلك أن رسول الله ﷺ ذكر الجنات وقال: (فَاسْأَلُوا اللهَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَىٰ فَإِنَّهُ وَسَط الجنة وأعلى الجنة، وفوق ذلك عَرْشُ الرَّحْمٰنِ) فصح أنه ليس وراء العرش خلق وأنه نهاية جرم

المخلوقات الذى ليس خلفه خلاء ولا ملاء، ومن أنكر أن يكون للعالم نهاية من المساحة والزمان والمكان فقد لحق بقول الدهرية وفارق الإسلام. والاستواء فى اللغة يقع على الانتهاء قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أى فلما انتهى إلى القوة والخير. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أى أن خلقه وفعله انتهى إلى السماء بعد أن رتب الأرض على ما هى عليه. وبالله تعالى التوفيق، وهذا هو الحق وبه نقول، لصحة البرهان به وبطلان ما عداه. اهـ كلامه.

هذا ما قاله ابن حزم غفر الله لنا وله، وفاته أن آيات الاستواء جاءت فى القرآن على ثلاثة أساليب: أحدها يتعدى بـ «على» وهو يفيد العلو، والثانى يتعدى بـ «إلى» وهو يفيد القصد فمعنى «ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ» أى قصد إليها، والثالث هو ما ذكره ابن حزم ونقلناه عنه آنفاً.

نسأل الله أن يمن علينا بالتمسك بالوحيين، وأن يجنبنا طرق المحرفين للكلم عن مواضعه.

وإليك تلو كل سؤال جواب:

س ١ ــ تدّعون أن الله فى السماء، فأين كان ربّنا قبل أن يخلق السماء؟

(ج) نحن لا ندّعى ذلك من تلقاء أنفسنا، بل الله أخبرنا بذلك، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ولما كان القرآن عربياً فالصعود والرفع لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى. وهذا ما تدل عليه اللغة العربية وهى لغة القرآن.

وقال تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ ونحن نعتقد ما جاء به

القرآن والسنة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل وهذا ما كان عليه السلف الصالح، وذلك طريق النجاة والسلامة.

أما ما يقوله المؤولون من أن قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ يعني شأنه في السماء. فنحن لا نسلم ذلك، بل إن ذلك يستلزم زيادة في القرآن، والزيادة لا تكون إلا حيث يوجد النقص، والقرآن منزه عن ذلك. فكيف نعدل عن الظاهر الصريح للنص، ونأتي بحشو في القرآن لنصحح به أقوال من يدعي العلم، ومعاذ الله أن نقول بذلك أو نجيزه. سبحانك هذا بهتان عظيم.

أما أين كان ربُّنا قبل أن يخلق السماء؟ فقد جاء في الحديث أنه كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق العرش على الماء. هذا هو جواب الرسول ﷺ لأبي رُزَيْن لما قال: يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض. والحديث رواه الترمذي، وابن ماجة.

هذا.. ونحن غير متعبّدين بالبحث عن ما وراء الغيب، ولا عما استأثر الله بعلمه، إذ لو كان ضرورياً لأخبرنا الله بذلك في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ فهو المبلّغ لما يوحى إليه من ربه دون تحريف. وإن البحث في ذلك وغيره مما سكت عنه الرسول وأصحابه بحث في الضلال، وسبب للوقوع في الهلكات، لأنه من القول على الله بلا علم. وحسبنا ما ورد به الكتاب المنزل والسنة الصحيحة فهما طريق النجاة لقوله ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ». ولقوله ﷺ: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ».

س ٢ ـ تدّعون أنه استوى على العرش استواء محسوساً، لما استوى على العرش هل كانت السماء خالية؟

(ج) وكما قلت إننا لا ندّعى ذلك من تلقاء أنفسنا بل تمسكًا بما أخبرنا الله تعالى به فى كتابه: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ﴾ فى سبعة مواضع من كتابه الكريم.

وإذا رجعنا إلى معنى (استوى) فى اللغة العربية نجده بمعنى استقر وعلا وارتفع. ولن تجد له مدلولا بمعنى استولى، وإذا استشهدتم ببيت من الشعر:

قَدْ اسْتَوَىٰ بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مُهْرَاقِ

مدّعين بأن استوى هنا بمعنى استولى.

فنقول إن الاحتجاج باللغة العربية لا يصح إلا متى نقلت عن أهلها الحقيقيين وهم عرب ما قبل الإسلام، وأعنى بهم العرب الجاهليين فهم أهل اللغة وهم الحجة، وبلسانهم نزل القرآن.

أما الشاعر الذى تستشهدون بشعره فليس بحجة بل هو مُوَلَّد وليست لغة عصره حجة على العربية حتى نحتج بكلامه.

وقولكم عنا إننا نقول (استوى استواء محسوساً) فلا ندرى ماذا تقصدون بنسبتكم إلينا هذه الصيغة اللفظية. إذ إننا نعلم أن المحسوس هو ما يدرك بإحدى الحواس الخمس. وذات الله تعالى أعظم وأقدس من أن ندركها بالتصور المحسوس سوى ما سمعناه عن طريق الوحيين، وما علمناه الله فى كتابه وفى سنة رسوله ﷺ، وإنا لنؤمن بالصفات على حقيقتها كما جاءت بها النصوص.

فنقول فى الاستواء: إنه استواء يليق بجلال الله وعظمته من غير

تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وأما قولكم: لما استوى على العرش هل كانت السماء خالية؟ فليسمح لى زميلى أن هذا إنْ دل على شىء فإنما يدل على بلبلة الفكر واضطرابه، وعلى الجهل بالسؤال قبل الجهل بجوابه، ولو صح أن أسميه سؤال تعنت لو صفته بذلك، بيد أنى أجده لا يستحق هذا الوصف.

فاستواء الله على عرشه لا يلزم منه خلو السماء أو عمرانها، مع أنها عامرة بالملائكة، وقد ورد فى الحديث «وَلِكُلِّ سَمَآءٍ سُكَّانُهَا».

وفى الحديث: إذَا قَضَىٰ اللهُ الأمرَ فِي السَّمَآءِ ضَرَبَتِ الملائكةُ بأجنحَتِها خضعاناً لقوله تعالى: **﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُواْ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِىُّ الْكَبِيرُ﴾** وكذلك حديث المعراج فيه ما يشهد لذلك. وكذلك قوله ﷺ: «أَطَّتِ السَّمَآءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوضِعُ قَدَمٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ».

مع أن الله فوق سماواته مستوٍ على عرشه، فهو بائن من خلقه، ولا تخفى عليه خافية، وقد وسع علمه كل شىء حتى إنه ليسمع دبيب النملة فى الصخرة الصماء، وقد أحاط بكل شىء علماً، وإنى أنزه ربى عما يقول الجاحدون، تعالى علواً كبيراً.

س ٣ ـ أين هو الآن: مستوٍ على العرش أم فى السماء؟

(ج) الذى نعلمه من الكتاب والسنة أن العرش فوق السماء السابعة، والله فوق العرش لا يخفى عليه شىء من أعمال بنى آدم، لذا فهو فوق سمواته مستوٍ على عرشه، وإليه أتجه فى صلاتى ودعائى كما كان ﷺ يفعل، فقد كان يدعو ويرفع رأسه ويديه إلى السماء حتى يرى

بياض إبطه. وحديث الجارية لما سألها ﷺ فقال أين الله، قالت: فى السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة.

أم تريد أن تقول ما قاله غيرك ممن نَاقَشْتُهم؟ يقولون إنه ﷺ لم ينكر عليها لأنها جارية وقد جاراها على قدر معرفتها.

سبحانك ربى، لست أعلم لذلك معنىً إلا الطعن فى حق المعصوم ﷺ الذى نزل عليه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾.

ترى هل يقر الرسول ﷺ جارية على الخطأ وهو فى مقام التعليم والبيان فى وقت الحاجة وتأخيره لا يجوز كما هو معروف فى الأصول؟ لست أعتقد إلا أنه أقرها على الحق لما نطقت به، ولست أدرى ما يقولون فى حديث زينب لما قالت لنساء النبى ﷺ زَوّجَكُن أهلُكن، وزوّجنى الله من فوق سبع سموات.

وأما الآن، ومتى وكيف، فلا نقول بشىء من ذلك عن الله، لأن ذاته وصفاته أقدس من أن نكيفها أو نمثلها.

س ٤ ــ مهما كان كبر السماء فهو محدود فهل الله كذلك محدود؟

(ج) هذا القياس والإلزام لا يصح إلا فيما يتصوره العقل، أو يمكن إدراك كنهه، والله سبحانه وتعالى أَجَلُّ من أن نتصوره أو تدركه عقولنا وحسبنا أن نؤمن بما جاء عن الله فى كتاب الله أو ما جاء عن الله على لسان رسول الله ﷺ أما التعنت ومحاولة القول على الله بلا علم فلسنا من أربابه، بل إن ذلك من دسائس علماء الكلام، وأعداء الإسلام من الفلاسفة والزنادقة.

وليتنا تمسكنا بما تمسك به علماء الإسلام من السلف الصالح وناهيك بما قاله الإمام مالك والإمام أحمد رحمهما الله : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

وقالوا أيضاً : لا يقول فى ذات الله أين ، ومتى ، وكيف ، إلا شاك فى دينه مكذب لله ولرسوله ﷺ .

س ٥ ـ عندما تقولون إنه فى السماء تنسبون له الجهة والإشارة وهى من صفات الحوادث ، فكيف الخلاص من ذلك؟

(ج) أسلفت لك أننا لم نقل ذلك اختلاقاً وافتراءً ، بل تمسكاً بالنص الوارد فى ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتقدم بالتفصيل فى جوابنا عن السؤال الأسبق . وقال تعالى : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَآءِ﴾ راجع تفسيرها وستجده فى المقرر دراسته فى الكلية ، وارجع إلى حديث الإسراء والمعراج مع كلام أهل السنة فى ذلك ، وإذا قلت (أهل السنة) فأعنى علماء الحديث والسلف الصالح ، لعلمى بأن أهل السنة تطلقونهم على الأشاعرة مقابل المعتزلة .

ثم ليسمح لى الزميل أن أناقشه فى سؤاله .

قلت : إننا باعتقادنا علو الله تعالى فوق سمواته ننسب له الجهة والإشارة وهى من صفات الحوادث ــ ألا ترى أنكم تعترفون بالصفات السبع فتقول حى سميع قادر ، فهل معنى ذلك أنكم تنسبون إلى الله صفات تشبه صفات الحوادث؟ كلا ، إن علو الله وإن لزم منه إثبات الجهة لم نقل به إلا إيمانا وتصديقاً للكتاب والسنة .

وقد علمنا رسول الله ﷺ جهة الدعاء . والإشارة بالوحدانية لله رب العالمين فى الصلاة ، وليس بلازم على تسمية المخلوق حيًا وسامعاً

ومبصــراً وقــادراً أنــه يشبــه صفــات الله تعــالى وتقدس ، فالله حى دائم وسميــع وبصــير وقــادر، سمعــاً وبصــراً وقــدرة تليق بجلاله وعظمته لا نكيفهــا ولا نمثلهـا بصفــاتنا . بل إن من قواعد الدين ، وأصول العقيدة لدينا أن من شبه الله بخلقه فهو كافر.

س ٦ ــ أخـبرنــا ﷺ أن الله ينـزل إلى السـماء الـدنيا كل ليلة ، وعلى مذهبكم : التأويل تعطيل ، فإنه إذاً ينزل من جهة السماء إلى جهة الأرض فيكون منتقلاً فى نفس الأمر من جهة إلى جهة ، أليس كذلك؟ أفيدونا .

(ج) نؤمن بما جاء فى الحــديث «يَنْــزِلُ رَبُّنَــا كُلَّ ليلةٍ إلىٰ سماءِ الـدُّنيـا» فلا نكيف أو نمثـل نزولـه بنزول خلقه . بل نقول : ينزل نزولاً يليق بجلاله ، ونزوله إلى السماء الدنيا نزول ذاته تبارك وتعالى .

وأمــا قولكم : إنــه إذاً ينـزل من جهة إلى جهة ، فلست أفهم منه سوى أنـه محاولـة لرد النصـوص وتكـذيبها أو تأويلها حتى يصح ما يقوله أهل الكلام ، فتؤ ولون النصوص لتوافق آراء المخطئين .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتابة قيمة على حديث النزول لم يدع شبهة لكم إلا أجاب عنها ، فياحبذا لو اطلعتم عليها .

وليس لكم بدٌّ من أحد أمرين : فإما التسليم والتصديق بما جاء فى الكتاب والسنة والإيمان به من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيـل خصــوصــاً ما تعلق بصفــات البــارى تعــالى وإمــا أن تؤ ولــوا وتحــرّفــوا ، ويلزم منــه نقص القــرآن فى رأيكم ، أو أنــه ليس بمحكم فتكملون نقصه بالتأويلات والتعسفات المصطنعة ، هذه التأويلات التى تلجأون إليها خوفاً من التشبيه ، وتقعون عالمين أو غير عالمين فى التعطيل .

والأول من الأمرين وهو طريق النجاة وهو أن نؤمن بالله وما جاء عن الله مراداً لله . وبما جاء عن الله على لسان رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ .

وأما التأويل عندنا فهو إن لم يكن تحريفاً فليس بتعطيل ، اللهم إلا إذا كان قصدك تعطيل النص أو تجريده من معناه فذلك قد يكون جائزاً .

س ٧ ــ نحن وأنتم متفقون بأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فهلا ترون وجوده فى السماء يكون مقاساً بالسماء فيشابهه فى المقاس ، وهو صفة إثبات لا صفة نفى .

(ج) هذه الآية هى حجتنا فى تنزيه الله عن مشابهة خلقه ، كما أن آيات الصفات وأحاديثها هى حجتنا فى إثبات الصفات الواردة فيهما دون تعطيل أو تشبيه ، فيجب علينا جميعاً أن نؤمن بالقرآن جميعه محكمه ومتشابهه ، ومجمله ومبيّنه حتى لا نكون ممن قال الله فيهم : ﴿يُؤْمِنُونَ بِبَعْضٍ وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ الآية وحسبك ما دلت عليه آية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فهى تنفى عن الله النِّدَّ والشبيه ، ولكنها لا تَرُدُّ ما جاء فى الآيات والأحاديث بل تقرها وتؤيدها .

وإذا كان كذلك فيجب علينا أن نؤمن بما آمن به أهل السنة والجماعة من السلف الصالح رحمهم الله ، فنؤمن بآيات الاستواء والعلو والإرادة والقدرة والرحمة والرضا والغضب والكلام ، وكل ما جاء فى كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ .

أما قولك : إن وجوده فى السماء يكون قياساً بالسماء ...... الخ فلا أستطيع اختراق هذا الكلام الذى لا يفهم معناه

سوى قائله، وقد لا يفهمه قائله، فلعله قد نقل الكلام نقلاً دون فهم لمعناه ولولا ثبوت ذلك فما وجه ارتباط المقاس والشبه بصفة تقول إنها صفة إثبات لا صفة نفى، وحقيقة فلا أدرى هل تقصد بصفة الإثبات هنا مدلول الآية أم مشابهته تعالى وتقدس بالمقاس كما تحاول إلزامنا به.

ولعل من الحكمة الإمساك عن التمادى فى مناقشة هذا السؤال المفكك الألفاظ، الركيك الأسلوب، المتنافر المعانى.

وحسبنا بالكتاب والسنة نبراساً نهتدى به، وفيهما النجاة والفوز فى الدارين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

فهـرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

شبهات والجواب عنها بقلم الأستاذ عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ

ولله الحمد والمنة علي نصره لأهل السُّنَّة

صدر حديثاً من مطبوعات مكتبة التوعية الإسلامية بالطالبية - جيزة - ت : ٨٦٨٦٠٠٥

١ - (الثمرات الزكية في العقائد السلفية) تأليف الشيخ أحمد فريد
٢ - (تكميل النفع بما لم يثبت به وقف ولا رفع) تأليف الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف
٣ - (جامع أحكام النساء [كتاب اللباس والأدب]) تأليف الشيخ مصطفى العدوى
٤ - (الإسراء والمعراج) تأليف الشيخ على محمد شاكر تحقيق الأستاذ حسين الجمل
٥ - (البرهان في بيان القرآن)
للإمام ابن قدامة المقدسي تحقيق الدكتور سعود بن عبد الله الفنيسان
٦ - (الرجال الذين تكلم عليهم الحافظ المنذرى في كتابه الترغيب والترهيب جرحاً وتعديلاً) ومعه : -
أ - الرواة المختلف فيهم المشار إليهم في نفس الكتاب .
ب - رسالة في الجرح والتعديل للحافظ المنذرى .
جمع وترتيب وتعليق الأستاذ ماجد بن محمد أبي الليل
٧ - (نكت الهميان في نكت العميان للصفدى) تحقيق الأستاذ أحمد زكى رحمه الله تعالى
٨ - (الاستيعاب لأدلة الحجاب والنقاب) تأليف الأستاذ حسن عبد الحميد
٩ - (حلية طالب العلم) للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد
١٠ - (براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة) للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد
١١ - (التعالم وأثره في الفكر والكتاب) للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد
١٢ - (التحذير من مختصرات الصابوني) للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد
١٣ - (استقلال الفقه الإسلامي عن القانون الروماني والرد على شبه المستشرقين)
للأستاذ الدسوقي السيد عيد
١٤ - (كيف تنجو من عذاب القبر ومن عذاب جهنم) للأستاذ ساعد بن عمر غازى
١٥ - (الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة) للشيخ مصطفى العدوى
١٦ - (فتيا في حكم القيام والانحناء والألقاب)
لشيخ الإسلام بن تيمية تحقيق الشيخ عبد الرحمن الفريان
١٧ - (فوائد البنوك حرام وهاكم البيان) للشيخ عبد العزيز بن باز وآخرين
١٨ - (بغية الكمال شرح تحفة الأطفال) تأليف الشيخ أسامة بن عبد الوهاب
١٩ - (الحياء في الكتاب والسنة الصحيحة) للشيخ سليم الهلالى
٢٠ - (مقامع الشيطان في الكتاب والسنة الصحيحة) للشيخ سليم الهلالى
٢١ - (الردة وخطرها على المجتمع الإسلامى) للشيخ عبد الله بن أحمد قادرى
ومعه موقف الإسلام من المجتمع الجاهلى للدكتور إبراهيم جعفر السقا .
٢٢ - (من فتاوى ورسائل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز واللجنة الدائمة للإفتاء)
جمع وتحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد السلام يعقوب
٢٣ - (سمط اللآلى في الرد على محمد الغزالى) لأبى إسحاق الحوينى

وتحت الطبع :

١ - المهدى حقيقة لا خرافة للشيخ محمد بن اسماعيل .
٢ - الثمر الدانى في الذب عن الألبانى لأبى إسحاق الحوينى .
٣ - تيسير المنان في قصص القرآن للشيخ أحمد فريد .
٤ - ردع الجانى المتعدى على الشيخ الألبانى لأبى زرعة الدارعمى .
٥ - فضل المرأة الصالحة للشيخ محمد عمرو عبد اللطيف .
٦ - رسالة في التوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الأستاذ حسين الجمل .
٧ - إحكام النظر في أحكام غض البصر لابن قيم الجوزية .